أدب النكتة ـ بحث في جذور النكتة الحمصية

حرب الآيديولوجيا الفكاهية وليتورجيا المجانين المندثرة

أدب النكتة – بحث في جذور النكتة الحمصية

حرب الآيديولوجيا الفكاهية وليتورجيا المجانين المندثرة

تأليف

جورج ممدوح كدر

أدب النكتة – بحث في جذور النكتة الحمصية

حرب الآيديولوجيا الفكاهية وليتورجيا المجانين المندثرة

تأليف: جورج ممدوح كدر

سنة الطباعة: ٢٠٠٩

عدد النسخ: ١٠٠٠

جميع العمليات الفنية والطباعية تمت في:

دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار ومؤسسة رسلان

للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا ـ دمشق ـ جرمانا

هاتف: ٥٦٢٧٠٦٠ ١١ ٠٠٩٦٣

فاكس: ٥٦٣٢٨٦٠ ١١ ٠٠٩٦٣

ص. ب: ٢٥٩ جرمانا

الإهداء

إلى

أبي ممدوح وأمي صباح

أخي سامر وأختي ماريت

إلى

زوجتي لور وابنتي ليليان

إلى

الدكتور اسكندر ديب

أهدي أول أعمالي

كل الشكر والتقدير للصديق فنان الكاريكاتير العالمي الحموي الأصل

علي فرزات

لإهدائه غلاف هذا الكتاب

مقدمة

صحيح أن للنكتة أدبيات وقواعد خاصة بها في الأدب الضاحك، لكن الصحيح أيضاً، أن لها جذور عميقة في حياة الشعوب تحدد الإطار العام لها، فهي بحكم استهدافها لهذا لشعب أو لطائفة منه أو شخص مجهول أو معلوم فيه، تأخذ شكلها العام و الحالي متبلورة من أنواع" فكاهية" تتناسب والعصر الذي وجدت فيه ويمكن القول أن المضحك والمبكي لا يتغير إطاره العام، وإنما الذي يتغير آلية تلقيهما.

والحمصي كإحدى الشخصيات البارزة في الأدب الضاحك المعاصر استهدف منذ البداية ونُعت بالحمق لا بل صُنفه ابن الجوزي بين" الحمقى والمغفلين على الإطلاق"، وعلى ذلك تركزت النكات على أهل حمص فيما بعد. والجدير ذكره أن ما وسم به أهل حمص بنته أحداث تاريخية مهمة عاشتها المدينة .

هذا العمل، يبحث في جذور النكتة الحمصية، دون الدخول في تحليل النكت التي تروى عن أهل حمص إلا ما تقتضي الإشارة إليها.

وتجدر الاشارة إلى أن "حرب الأيديولوجية الفكاهية" التي وردت في عنوان الكتاب هي مصطلح لبو علي ياسين، استخدمه في كتابه بيان الحد بين الهزل والجد، يقوم على اعتبار أن هذه الأيديولوجية تتسع لجميع الانتماءات الاجتماعية من عشيرة وشعب وطبقة وطائفة إلى غيرها من المجموعات البشرية التي تقوم بين أفرادها روابط مصيرية واقتصادية. في هذه الحرب ليس مهماً أن يكون كل ما يقال صحيحاً ولا صادقاً، وليس مقصوداً ولا حتى مرغوباً إصلاح الغير، ولا أخذ العبرة من مساوئه، بل على العكس، إذا لم توجد السلبيات في الآخرين، أوجدناها. وعلى فرض أنهم تغيروا، وأصلحوا أنفسهم فإننا لن نغير نظرتنا فيهم، في هذه الحرب لا

يقال- من حيث الجوهر- أكثر من أننا " نحن" مختلفون عنهم "هم"، وأننا نحن (بما أننا نحن) أفضل منهم (لأنهم الغير)[1].

تشتمل حرب الأيديولوجية الفكاهية على صراع الأفكار والآراء والعقائد السياسية والدينية والفكرية، لتلك الانتماءات باستخدام الأسلحة " الفكرية" التي وصل إليها العصر، كالشعر (الهجائي منه بخاصة) والقصص والنوادر (العصر الجاهلي، العصر الإسلامي)، والدعاية والشائعة والنكت...الخ في العصور اللاحقة.

أما المقصود باليتورجيا المجانين المندثرة فهو عيد المجانين وطقوسه التي كانت سائدة في العبادات الشرقية القديمة إجمالا واستمر طقوسه في مدينة حمص بعد ميلاد المسيح. هذه الطقوس التي أثرت في الطرق الصوفية المسيحية والإسلامية للوصول إلى مرحلة "الإنجذاب " نحو الخالق.

قسم البحث إلى:

١ ـ العصبيات العربية بين السيف والهجاء:

و جذر الصراع فيه عاملان يلتقيان بعنوان واحد "العصبية ":

- صراع القيسية/اليمانية
- الصراع السني/الشيعي

كما نتطرق فيه إلى آراء بعض الرحالة والمؤرخين في إثبات ما أورده الأدباء حول صفة "الحمق" الحمصية من خلال المشاهدات العيانية... !!!!.

٢ ـ على الصعيد الأدبي:

أعمال بعض الأدباء في إطلاق صفة "الحمق الحمصي" التي تحولت مع الأيام إلى الأجدب الحمصي، هذه الأعمال كانت مادة رئيسية في اقتباسات الكتاب والأدباء فيما بعد.

---

(١) بوعلي ياسين، بيان الحد بين الهزل والجد، ص ٢٠٩-٢١١

٣ ـ على الصعيد الديني الطقوسي (الليتورجي):

الحديث عن يوم الأربعاء وجذوره الدينية، وعبادات الربيع القديمة التي كانت سائدة في حمص وعيد المجانين المندثر.

٤ ـ على الصعيد النفسي:

يعرض هذا الفصل وجهة نظر حول علاقة البكاء والضحك بالنكتة، وعلاقة ذلك في موضوع النكتة الحمصية.

٥ ـ صراع العصبيات المحلية ودور النكتة في هذا الصراع

٦ـ عرض وجهات نظر لباحثين في أدب النكتة بالنكتة الحمصية.

العصبيات العربية بين حرب السيف وحرب الهجاء

ما هي العصبيات العربية التي كانت النكتة الحمصية تجلٍّ لها ؟

ما هي الأهمية التي كانت للحماصنة دون باقي بلاد الشام، والتي جعلت منه محط" سخرية " المدن الأخرى؟

للإجابة عن السؤالين، لابد من العودة إلى العصبيات التي سادت جزيرة العرب قبل الإسلام و امتدادها في العصر الإسلامي، خاصةً **الصراع القيسي/ اليمني** الذي انتقل إلى مدينتي حمص وحماة مع الهجرة العربية لبلاد الشام وكان له طابعاً خاصاً نذكره في حينه. إضافةً إلى بعض القضايا المفصلية و الحساسة التي لم تحسم بعد في التاريخ العربي وتحديداً الصراع السني/الشيعي نظراً لعلاقته الوثيقة في النكتة الحمصية وربما تكون السبب الأساسي في إطلاق صفة الحمق على أهل حمص، مع الإشارة إلى تجنب الدخول في متاهات هذا الصراع **لأن لكلٍ من المتنازعين** مبرراته ومؤيديه وبشكل أدق **تاريخه الخاص به** بتجاذباته الدينية والسياسة غير البعيدة عن المزاج الشخصي أو الجمعي التي تجعلنا أمام " **صياغة توراتية** "[٢] له.

هذه الصياغة التي أعاد رجال الدين إنتاجها ليؤكد كل منهم صحة مذهبه أو طائفته أبعدتنا شيئاً فشيئاً عن قيمة تاريخنا كنتاج حضاري وصولاً إلى تكريس العصبيات المختلفة وإثباتها عن طريقه، وبالتالي لم نكن أمام " تدين التاريخ" فحسب وإنما أمام " مذهبة التاريخ وتشظيته". وعلينا عند البحث فيه، ألا ننظر فيما كان " ينبغي أن يكون " وإنما " ما كان فعلاً " فتأريخ الدين شيء، وتديين التاريخ شيء آخر.

على مر التاريخ العربي تقنعت القبلية، والطائفية والسياسة بقناع العصبيات العربية وهذا ما ظهر بتتبع تطوراتها، إذ عاش العرب في بيئة صحراوية قوامها قبائل متفرقة، وكان النظام السياسي السائد في بلاد العرب قبل الإسلام إذا استثنينا

---

(٢) نقصد بـ"الصياغة التوراتية" الشكل وليس المضمون، وتحديداً الهالة المقدسة لأبطاله

الممالك الصغرى في الجنوب والشمال، هو "**النظام البدائي الذي يقوم على رابطة القرابة والذي تجتمع الأسر بمقتضاه في عشائر وقبائل" (٣)، فكانت العصبية القبلية هي السياسة التي حكمت قبائل العرب عصوراً طويلة حتى بعد الإسلام.**

وكان لها تشعبات وتفرعات تمتد أطرافها وتتشكل بأشكال الظروف السياسية والإقليمية التي تحيط بهم، فلها شكل في الشام، وآخر في العراق، وثالث في خرسان، ورابع في الأندلس "[٤].

ويتبين إدراك قبائل العرب لأضرار هذه العصبية، عندما يشتد النزاع ويكون السيف هو الحكم الفصل، حيث كانت القبيلة التي تعجز عن المواجهة بالسيف أو تريد حقن الدماء توفد السفراء لإيجاد روح من التفاهم والود يضمن لهم الاستقرار والأمن[٥].

في العصر الأول قبل الإسلام كانت العرب أمة شعر، لها حياتها الاجتماعية والسياسية الخاصة، " تعتمد في هذين النوعين من الحياة على العاطفة والشعور أكثر من اعتمادها على الحكمة والروية، تندفع بحكم هذا الشعور إلى الحرب أو السلم أو الخصومة"[٦] هذه العاطفة لم تختلف في الوقت الراهن عما كانت عليه في الماضي.

ويخبرنا التاريخ عن الكثير من الحروب التي امتدت عشرات السنوات وكانت وبالاً على قبائل العرب في الجاهلية كحرب البسوس وحرب داحس والغبراء... الخ.

ولم يكن السيف هو الوحيد الذي اشترك في هذا الصراع وإنما قدمت العرب الشعر" وقوداً لهذه العصبية المضطرمة" على حد تعبير د. طه حسين.

---

(٣) قصة الحضارة، ول ديورانت، ص١٠

(٤) من تاريخ الأدب العربي، طه حسين، المجلد الأول، ص١٤٢

(٥) السفارة السياسية وأدبها في العصر الجاهلي، محمد علي دقة، ص١٩

(٦) من تاريخ الأدب العربي، المجلد الثاني ص ٤٢٣

العصبية والهجاء

مخاطر العصبية القبلية لم تكن لتخفى على شخصية فذة كشخصية النبي العربي، لذلك نجده حين غادر مكة إلى المدينة لما اشتد الخناق على دعوته فيها" قطع كثيراً من صلات القرابة، واعتزم أن يستبدل بصلات الدم صلات الأخوة الدينية في الدولة الجديدة "(٧)

ولم تقتصر المواجهة بين العصبية الدينية التي أنشأها النبي وعصبية قريش على الاحتكام للسيف (معركتي بدر وأُحد مثلاً) وإنما اشترك في العداوة مع السيف شعراء الأنصار وشعراء قريش يتهاجون ويتجادلون، وكان النبي يحرض أصحابه ويعد المقاتلين بالأجر والثواب ويتحدث أن جبريل كان يؤيد حساناً (حسان بن ثابت)[٨].

وقد تذاكر الأنصار والقرشيين الهجاء الذي تبادلوه أيام النبي، وكانوا حريصين على روايته، يجدون في ذلك "اللذة والشماتة" ما لا يشعر به إلا أصحاب العصبية القوية بعد النصر. والتاريخ يروي أن حزم عمر بن الخطاب قد حال من الفتنة بين قريش والأنصار، فيروي ابن سلام في طبقاته أن عمر كان يتتبع الشعراء ويشتد على من خالف منهم قواعد الإسلام أقل مخالفة، وعمر فيما يحدثنا صاحب الأغاني قال لنفر من أصحاب النبي: قد كنت نهيتكم عن رواية الشعر لأنه يوقظ الضغائن[٩]. طبعاً لا يخلو عمر من نظرة ثاقبة للأمور فقد " عمل على تأسيس ملك المسلمين على شيء غير العصبية "[١٠]، وهو الرابطة الدينية متابعاً بذلك سياسة النبي

---

(٧) من تاريخ الأدب العربي، المجلد الأول، ص١٣٢

(٨) مصدر سابق ، ص١٣٢

(٩) مصدر سابق، ص١٤٣-١٣٥

(١٠) مصدر سابق ، ص١٣٤

العربي، وكان عمر يقول:" إنما مثل العرب مثل جمل أنف اتبع قائده، فلينظر قائده حيث يقوده، فأما أنا فورب الكعبة لأحملنهم على الطريق"[١١].

بعد مقتل عمر" تقدمت الفكرة السياسية التي كانت تشغل أبا سفيان، فلم تصبح الخلافة في قريش فحسب بل أصبحت في بني أمية خاصة "[١٢]. وهكذا تولى عثمان الخلافة بعد عمر، فأقبل بنو أمية الذين كانوا في أيام الإسلام الأولى ألد أعداء النبي على المدينة ليجنوا ثمار قرابتهم للخليفة، ولم يكن في وسعه أن يقاوم مطالبهم، ولم يلبث أن" تولى بعض المناصب المجزية عشرة منهم كانوا يسخرون من تزمت أتقياء المسلمين وبساطتهم"، وانقسم المسلمون بعد أن هدأت ثورة النصر أحزاباً متباغضة شديدة العداء، المهاجرون القادمون من مكة ضد الأنصار أهل المدينة، وأهل مكة والمدينة أصحاب السلطان ضد دمشق، والكوفة، والبصرة، وهي المدن الآخذة في النماء والتوسع، وبنو هاشم أهل النبي وعلى رأسهم علي ضد بني أمية وعلى رأسهم معاوية حاكم الشام[١٣]. و" اشتدت عصبية قريش، واشتدت عصبية الأمويين، واشتدت العصبيات الأخرى بين العرب، **وهكذا هدأت حركة الفتح، وأخذ العرب يفرغ بعضهم لبعض**"[١٤].

كان مقتل عثمان محصلة لتلك التعصبات و بداية لتفجر التعصبات الطائفية التي مهد لها الخلاف بعد وفاة النبي بين علي و أبو بكر حول الخلافة فكان من نتيجة ذلك التحولات السياسية على يد معاوية التي غلَّبت السياسة على الدين وعادت بالعصبية القبلية إلى بدايتها. وبذلك بدأت الصراعات السياسية تنمو في التربة التي هيأتها لها العصبية.

---

(١١) صانعو التاريخ العربي، فيليب حتي، ص٣٥ - تاريخ الطبري، ج٢، ص٦٢٢

(١٢) من تاريخ الأدب العربي، المجلد١، ص١٣٥

(١٣) قصة الحضارة، ول ديورانت، ص٧٨

(١٤) من تاريخ الأدب العربي، المجلد١، ص١٣٥

وقعـة صفـين، والنقمة على أهل حمص

طالب والي الشام معاوية بن أبي سفيان بالثأر لمقتل عثمان، وراح ينشر قميصه الملطخ بالدماء، وأصابع زوجته التي قطعت وهي تدافع عنه.

واستعان معاوية في حربه ضد علي باليمانية (عرب الجنوب) واستعمل لذلك رأس أهل الشام شُرحبيل بن السمط الكندي. وكتب إليه معاوية "... إن هذا الأمر لا يتم إلا برضا العامة، فسرّ في مدائن الشام، ونادِ فيهم بأن علياً قتل عثمان، وأنه يجب على المسلمين أن يطالبوا بدمه" فبدأ بأهل حمص، فأجابه الناس إلا نساك أهل حمص"[١٥]. وهكذا أخذ معاوية " يجند السوريين المسيحيين وعرب اليمن الجنوبيين الذين كانوا استقروا في سورية منذ زمن بعيد"[١٦]

كان أهل حمص مع أهل قنسرين ميمنة جيش معاوية[١٧]. وخلال المعركة جمع الخليفة علي همدان، وقال لهم: يا معشر همدان، أنتم درعي ورُمحي، يا همدان ما نصرتم إلا الله ولا أحببتم غيره. فقالوا " أحببنا الله وأحببناك، ونصرنا نبي الله صلى الله عليه وسلم عليه في قبره، وقاتلنا معك من ليس مثلك، فارمِ بنا حيث أحببت".

قال علي:

ولو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلي بسلامِ

وقال لصاحب لواء همدان:" أكفني أهل حمص، فإني لم ألقَ من أحد ما لقيت منهم. فتقدم وتقدمت همدان وشدَّة شدة واحدة فضربوهم ضرباً شديداً متداركاً بالسيوف وعُمُد الحديد حتى ألجؤوهم إلى قبة معاوية، وارتجز فارس من همدان يقول:

---

(١٥) وقعة صفين، نصر بن مزاحم المِنقري، ص٥٠-٥١

(١٦) صانعوا التاريخ العربي، مصدر سابق، ص٦٨

(١٧) وقعة صفين، ص٢٠٦

قد قتل الله رجال حمــص حرصاً على المال وأي حرِص

عُزّوا بقول كِذب وحرص قد نكص القوم وأي نكص

***عن طاعة الله وفحوى النص*[(18)]**

بدا النصر واضحاً لعلي لو لم يأخذ معاوية بالحيلة التي أشار إليه بها عمر بن العاص قائد جيش معاوية وأحد دهاة العرب، حيث رفع المصاحف على أسنة الرماح طالباً التحكيم إلى كتاب الله، الأمر الذي قبله علي وعين حكماً له أبو موسى الأشعري " وجاء قرار الحكمين ينزع عن علي حقه بالخلافة التي كان يتولاها، ويعطي معاوية، ِضمناً، حقاً لم يكن قد أعلن عنه بعد"[(19)]

نتيجة لقبول علي التحكيم انقلب عليه جماعة من مؤيديه "الخوارج"، وأضحوا من ألد أعدائه، فسدد أحدهم إلى علي طعنة صائبة بخنجر مسموم وقعت في جبهته.

---

(١٨) وقعة صفين، ص٤٣٧- ٤٣٨

(١٩) صانعوا التاريخ العربي، مصدر سابق، ص٦٧

" الناصبييون "

يروي لنا المسعودي ما كان من " دهاء معاوية وإتقانه للسياسة واجتذابه قلوب خواصه و عوامه" و نلاحظ تأثيره الكبير على أهل الشام في رسالة وجهها للإمام علي، نقلها له رجل من أهل الكوفة، قدم إلى دمشق بعد موقعة صفين، جاء فيها :" أبلغ علياً أني أقاتله بمائه ألف ما فيهم من يميز بين الناقة والجمل (يقصد أهل دمشق)[٢٠]، وقد بلغ من أمرهم في طاعتهم له أنه صلى بهم عند مسيرهم إلى صفين الجمعة في يوم الأربعاء (يقصد أهل حمص)، وأعاروه رؤوسهم عند القتال وحملوه بها، وركنوا إلى قول عمر بن العاص: أن علياً قتل عمار بن ياسر، حين خرج لنصرته. ثم ارتقى بهم الأمر في طاعته إلى أن جعلوا لعن علي سنة، ينشأ عليها الصغير، ويهلك عليها الكبير"[٢١].

أما الخليفة علي فكان حريصاً ألا تأخذ وقعة صفين شكل الحرب الإقليمية، وحاول حصرها بشخص مسببيها، وهذا يتضح مما قاله علي بصفين" وأهل العراق يسبون أهل الشام: يا أهل العراق لا تسبوا أهل الشام، فإن فيهم رجالاً كارهين لما ترون، وإنه بالشام يكون الأبدال"[٢٢] و كان عليّ إذا صلى الغداة والمغرب وفرَغَ من الصلاة يقول": اللهم العن معاوية، وعمراً، وأبا موسى، وحبيب بن سلمة، والضحاك بن قيس، والوليد بن عُقبة، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد" فبلغ ذلك معاوية فكان إذا

---

(٢٠) دخل رجل من أهل الكوفة، دمشق مع بعيره، فتعلق به رجل من دمشق وقال له: هذه ناقتي أخذت مني بصفين، فرفعا أمرهما إلى معاوية، وأقام الدمشقي خمسين رجلاً بينه يشهدون أنها ناقته،فقضى معاوية على الكوفي وأمره بتسليم البعير إليه، فقال الكوفي: أصلحك الله! أنه جمل وليس بناقة، فقال معاوية: هذا الحكم قد مضى، ودس إلى الكوفي بعد تفرقهم فأحضره، وسأله عن ثمن بعيره، وبره، وأحسن إليه، (وأبلغه الرسالة المذكورة أعلاه)

(٢١) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٤٠

(٢٢) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر(٤٤٩-٥٧١هـ)، تحقيق: علي شيري

قنت لعن علياً ، وابن عباس وقيس بن سعد ، والحسن والحسين[٢٣].

أما معاوية فبعد توليه شؤون المسلمين شرع لشتم علي على منابر الصلاة يوم الجمعة ظناً منه أنه بهذا العمل يشوه شخصيته ويقلل من مؤيديه ، و بقي الأمر حتى" أبطله عمر بن عبد العزيز"[٢٤].

هذا الأمر" استقبحه رهط من خلفاء الأمويين كمعاوية الثاني بن يزيد الذي استنكر ذلك لكن هشام بن عبد الملك بعث هذه الفكرة من مدفنها".

وظهر الناصبييون (المتدينون ببغض علي) في الشام عموماً وفي حمص خصوصاً ، وظل ذلك شأن بعض المحدّثين الحمصيين إلى أن نبغ فيهم عالم الشام إسماعيل بن عياش الذي حدثهم بفضائل علي فكف أهل حمص عن انتقاصهم له[٢٥].

هذه حالة عمت أيضاً البلاد الإسلامية حتى أن حاشية عامل معاوية الذي تولى الجزء الشرقي للإمبراطورية (بلاد الشعوب التي تتكلم التركية) كان حرسه مؤلف من خمسمائة فارس، ولديه قوة من الشرطة قوامها ألف رجل مسلح، ولديه شبكة من الجواسيس. " والويل كل الويل لمن يرسب في امتحان الولاء للدولة ، وكان الامتحان لعن علي!"[٢٦].

وكان أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي الثاني أبرز في معرض رده على محمد بن عبد اللّه المهدي الذي خرج من المدينة مطالباً كأسلافه بحق الخلافة بعد وفاة أبو العباس السفاح، أبرز بعد شرحه" نظرية العباسيين في وراثة الملك" فضل العباسيين في إلغاء هذه الظاهرة قائلاً " **وكانت بنو أمية تلعن علي كما تلعن الكفرة في الصلاة المكتوبة، فاحتججنا له، وذكّرناهم فضله، وعنّفناهم وظلمناهم بمن نالوا منه**"[٢٧].

---

(٢٣) وقعة صفين، ص٥٥٢

(٢٤) تاريخ سورية، مصدر سابق، ص١٤٩

(٢٥) تاريخ حمص،ج٢،ص١١٢-١١٣

(٢٦) صانعوا التاريخ العربي، ص٨٠

(٢٧) طه حسين، المجلد ٢، ص٣١٧-٣٢١

لكن هذه الظاهرة عادت في العهد العباسي، حيث كانت وسيلة تقرب الشعراء من مجلس هارون الرشيد ذم آل علي"، حتى أن الشاعر إبان بن عبد الحميد عندما. حاول التقرب من بلاط الرشيد لينال عطاءه، نصحه البرامكة قائلين: يجب أن تذهب مذهب مروان بن أبي حفصة، فتذم آل علي، ففعل ونال الجوائز منه على قصيدته:

نشدت بحق الله من كان مسلما	أعَمَّ بما قد قلته العُجم والعرب
أعم رسول الله أقرب زُلفة	لديه أم ابن العم في رتبة النسب
فإن كان عباس أحق بتلكم	وكان عليّ بعد ذاك على سبب
فأبناء عباس هم يرثونه كما	العم لابن العم في الإرث قد حجب(٢٨)

و مروان بن أبي حفصة هو الذي نظم الدفاع عن نظرية العباسيين في وراثة الملك" وصاغها في قصيدة أودت بحياته فيما بعد:

أنى أن يكُونُ وليس ذاك بكائن   لبني البناتِ وراثة الأعمام(٢٩)

لكن تبادل اللعنات والشتائم لم يقتصر على الناصبيين، إنما كان "الشيعة في صلواتهم يدعون لعلي وآله من الأئمة الصالحين، ويلعنون الأمويين والعباسيين المغتصبين"(٣٠).

---

(٢٨) مصدر سابق، ص٢٩٥

(٢٩) مصدر سابق، ص٣١٢

(٣٠) صانعوا التاريخ العربي، ص١٣٣

العرب والعصبية في بـلاد الشــام

من الناحية السياسية اصطحب العرب عند انتقالهم من الجزيرة عصبيتهم التي شكلت أرضية الانقسامات الدينية والمذهبية بأدواتها المختلفة، الحرب والأدب. ولا يخفى على أحد أن التقسيمات الاستعمارية في العصر الحديث للبلاد العربية وضعت على أساس توزع العصبيات القبلية والدينية.

بشكل عام أسس عرب ما قبل الفتح أربع ممالك في "الهلال الخصيب" نحو ٥٠٠ ق.م فكان الأنباط في شرقي الأردن، والتدمريون في تدمر، وهما من عرب الشمال أدت الهجرات الموسمية إلى قيام دويلاتهم. وكان الغساسنة في حوران وهم من عرب الجنوب، والمناذرة جنوب العراق[٣١]. كانت هذه القبائل أدوات للصراع بين " قطبي العالم" آنذاك الفرس والروم.

وكانت الشام و الجزيرة، منذ الجاهلية، مطمح أنظار أهل البادية، وموضع أهوائهم، وقد تردد عليها أهل البدو من بكر و تغلب في الجزيرة. فلما جاء الإسلام و كان الفتح، كثر اجتماع العرب بالشام و الجزيرة، و اشتدت قوتهم في هذه البلاد[٣٢]، حتى وصل "عدد العرب في بلاد الشام وفارس نصف مليون نسمة قبل أن يحل عام ٦٤٤م"[٣٣].

وفي عهد الخلفاء الأمويين كان عرب الشام و الجزيرة، أشد العرب تمسكاً بعصبيتهم، يؤثرونها على كل شيء، ولذلك بذلوا كل ما يستطيع أن يبذله إنسان من الفنون و القوة لنصر بني أمية[٣٤] . لأن الدولة الأموية منذ أيام معاوية قامت على فكرة العصبية العربية "القومية" فيما يتعلق بالأجانب وعلى فكرة العصبية القبلية

---

(٣١) الميثولوجيا السورية- أساطير آرام-، د. وديع بشور، ص٢٤-١٢٤

(٣٢) من تاريخ الأدب العربي، طه حسين، المجلد الثالث، ص٤١٣

(٣٣) قصة الحضارة، ص٧٧

(٣٤) من تاريخ الأدب العربي، المجلد الثالث، ص٤١٤

فيما يتعلق بالعرب أنفسهم. فكل خليفة هو عربي والأصل الذي تقوم عليه نظريتهم هو أن يسود العرب وأن لكل خليفة عصبيته الخاصة فهو إما متأثر بالعصبية اليمنية أو المضرية، ولكل خليفة إضافة لذلك عصبية أخص من حيث القبلية، فهو يتأثر بهذه أو تلك من قبائل مضر أو اليمن(٣٥).

وقد فهم معاوية طبيعة أهل الشام إذ جاء في وصيته لابنه يزيد قبل توليه الحكم: " انظر أهل الشام فإنهم بطانتك، فإن رابك من عدوك شيء فانتصر بهم، فإذا أصبتهم فارددُ أهل الشام إلى بلادهم فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم تغيرت أخلاقهم"(٣٦).

لكن العصبية الطائفية/السياسية توحدت في العصر العباسي، حيث "بدأت عملية الدمج بين العرب وغيرهم من الأجناس البشرية في وقت مبكر عند قيام الدولة العباسية وازدادت نشاطاً وحدّة في عهد المأمون"(٣٦) لاسيما الفرس، لدرجة أن النساء الفارسيات غلبت في دور الحريم، "حتى أن أمهات جميع خلفاء العباسيين السبعة والثلاثين إلا ثلاثة منهم كنّ جواري"(٣٧). ولم يكن بين خلفاء بني العباس سوى الأمين من أبوين قرشيين(٣٨) فأمه زبيدة زوجة هارون.

---

(٣٥) من تاريخ الأدب العربي، المجلد الثاني، ص٢٤

(٣٦) مروج الذهب، المسعودي، المجلد الثالث، ص١٥

(٣٦) صانعوا التاريخ العربي، ص١١٧

(٣٧) قصة الحضارة، ص٨٨

(٣٨) صانعوا التاريخ العربي، ص١٠٩

الحجاز ـ دمشق ـ العراق والانتقال إلى اللهو

في عهد بني أمية " استمرت حانات الخمرة ودور المقامرة، حيث كان لعب النرد من أحب ضروب اللهو، في ازدهارها، بل إنها تمتعت أحياناً برعاية بعض المتنفذين حتى من المسلمين. وكان الرهبان أرباب خبرة واسعة في صناعة الخمور، وجني العسل، وتعهد الإثمار والأزهار، ويفترض المؤرخ فيليب حتي، أنه في غالب الظن أن الأديرة كانت تشتمل على دار ضيافة للهو والسمر"[٣٩].

ونتيجة لثراء مكة والمدينة من غنائم الحروب كثرت فيها السراري، وجرت فيها الخمر المحرمة في الإسلام، وأخذ المغنون يطربون سكانها، وبذلك غلبت نزعة الاستمتاع بمباهج الحياة الأموية على نزعة التقشف والتزمت التي اتصف بها أبو بكر وعمر، في أقدس مركزين من مراكز الإسلام[٤٠].

وكان بعض تجار الرقيق يعلمون الجواري الموسيقى والغناء(القيان)، وفنون فتنة الرجال، ثم يبيعونهم بأثمان غالية[٤١].

طباعاً كان لطبيعة التنظيم الاجتماعي الذي ساد بعد أن ضرب الحجاب على المرأة الحرة، وانسحبها إلى المنزل، دور كبير في أن يحول حجابها وجهلها بينها وبين الرجل، وأفسح سفور الجارية وثقافتها الطريق لها لتحتل وقته وقلبه واهتمامه... و"هكذا خلال قرن من الزمان أصبحت بيوت القيان أماكن شراب وفسوق بعد أن كانت مخصصة للسماع والتحدث فقط، وهذا التطور المتدني في وضع بيوت القيان يصور بصدق حركة اللهو وانتقالها من إعجاب وشغف بالفن الغنائي إلى انغماس في الشراب وانزلاق نحو الفجور"[٤٢].

---

(٣٩) تاريخ سورية، ج٢، ص١٠٠

(٤٠) قصة الحضارة، ص١٥٣

(٤١) قصة الحضارة، ص١٣٩

(٤٢) بيوت القيان، بقلم د. نبيه عاقل مجلة العربي عدد ٥٢- مارس،١٩٦٣

لقد كان" للجيل الثالث" الذي ولد أواخر أيام عثمان وأيام معاوية[٤٣] وشب على استقرار أمور الدولة إثر تقدم الفتوح والانتهاء من الفتن دور في التخفيف من حدة العصبية فهو جيل شب على الرفاهية التي وفرتها له مغانم الحروب.

وبالرغم من أن هذا الجيل لم يكن عربياً خالصاً كما كان الجيل الأول (معاصر النبي وبداية الإسلام) والجيل الثاني (لم يعاصر النبي ونشأ في عهد عمر وعثمان)[٤٤]، من ناحية التكوين العقلي والتثقيف الذي كان الفتى يتأثر به من أمه[٤٥]، لأن الخليفة من الأمويين أو الأرستقراطي كان يجمع في داره من الأزواج العربيات الأحرار ونساء من بيئات مختلفة، على الرغم من ذلك فقد كان هناك تفريق ناتج عن العصبية"المخففة" التي مازالت تفرق بين عربي الأب والأم وغيره وأصبحنا نسمع ألقاب كابن الرومية، ابن الفارسية، ابن الحبشية... كما يقول د. طه حسين.

لكن "التهجين الحضاري" إن صحت التسمية بلغ أقصاه زمن العباسيين حتى أن من بين خلفائهم كان الأمين فقط عربي الأب والأم. وبلغ التأثير الحضاري أقصاه أيضاً خاصة التأثر بالحضارة الفارسية ،سيما أن أغلب أصحاب القيان(الأمة المغنية) كانوا "من الموالي غير العرب إلا أقلية منهم كانت عربية كما تدل على ذلك أسماؤها"[٤٦].

و الإمام الغزالي وصف في الجزء الأول من كتابه "مطالع البدور في مجالس السرور"، مدى التحلل من التعاليم وتفشي التهتك وشرب المسكرات في القصة التي ذكر فيها أن أحدهم عمد سنة ٣٧٧ هـ إلى تسمية ولده مداماً وكناه أبا الندامى

---

(٤٣) من تاريخ الأدب العربي، ج٢ص١٧

(٤٤) مصدر سابق ج٢ص١٦

(٤٥) مصدر سابق ج٢ص١٩

(٤٦) مجلة العربي مرجع سابق

وسمى ابنته الراح وكناها أم الأفراح وسمى عبده الشراب وكناه أبا الإطراب وسمى وليدته القهوة وكناها أم النشوة[٤٧].

تحول العراق من موطن للجد إلى موطن للمجون؟

كان العراق موطن الجد الخالص في جميع أنحاء الحياة الإسلامية طوال القرن الأول، في السياسة(المعارضة السياسية، الأحزاب السياسية مثل الخوارج والشيعة والمعتزلة) والدين (من حديث وسنن وأخبار) والعلم (علو اللغة والنحو)[٤٨].

لكن كتب التراث تشير إلى أنه في القرن الرابع الهجري، انتشرت الفواحش وافتتاح محلات الدعارة العامة لغير القادرين على فتح المحلات الخاصة. واستفحل التسري واستيلاد الجواري اللاتي كن أمهات لأغلب خلفاء بني العباس وللخاصة من الناس على حد التعبير الشائع:

إن أولاد الجواري كثروا يا رب فينا

رب أدخلني بلادا لا أرى فيها هجينا[٤٩]

يرى د. طه حسين، أن هذا التحول إلى موطن للمجون لم ينشأ في العراق وإنما وفد إليه كنتيجة طبيعة لتطور الشعر في الحجاز بعد أن كثرت في المدينة مجالس اللهو والغناء، إذ أصبح الشعر في المدينة مضطراً أن يلائم بين نفسه وبين الموسيقى، فكان الشعر يُصنع ليتغنى به، وأكثر من ذلك راعى الشعراء عند وضع شعرهم بالإضافة للسمع (الموسيقى) البصر (حركات الراقصات في الرقص). في البداية أنكر العراق، يضيف د.طه حسين، كل ذلك إنكاراً شديداً، وكان التنافس بين العراق والحجاز حول هذه اللذات من الأشياء التي يتندر بها، فيتندر العراقيون بخنوثة الحجازيين ويتندر الحجازيون بغلظة أهل العراق. ومع يزيد ابن عبد الملك انتقلت مظاهر اللهو إلى قصر الخلافة الأموية في الشام عندما اشترى جارية كانت من أساتذة الغناء في المدينة ورئيسة مدرسة فيها، فكان لها أصدقاء من المغنين

---

(٤٧) **إخوان الصفا: قراءة معاصرة، كمال راغب الجابي.مجلة المعرفة السورية العدد ٤٨٤**

(٤٨) **من تاريخ الأدب العربي، ج٢، ص٥١**

(٤٩) **مجلة المعرفة، مصدر سابق**

والراقصين والراقصات والشعراء وأصحاب اللهو والمجون، كان ذلك رغم أن أهل الشام من العرب الذين كانوا عماد الخلافة الأموية، وكانت كثرتهم من اليمنيين الذين كانوا لا يعنون بهذه الأشياء، لكن آثار قصر هشام بن عبد الملك تُظهر أنه أقيم على طراز القصور البيزنطية وما فيها من صور وتماثيل وزخرف اتخذت لتكون محيط بيئة فيها كثير من اللهو ومن الحياة الفنية المعقدة، وقد ظل يزيد ولياً للعهد طوال خلافة هشام أي مدى عشرين سنة وخلالها انتقلت هذه الظاهرة إلى الشام مرعية سراً أو جهراً طوال ربع قرن وبذلك أصبح هذا اللهو معرضاً لانتشار هائل لأن الناس على دين ملوكهم، و أكبر الظن أنه من خلال صلات أهل العراق بالقصر وبأمير العهد، ثم الصلات العادية اليومية والحياة العامة، انتقلت هذه الحضارة تدريجياً من الشام إلى العراق و أتاح لها النمو في العراق سببين أساسيين برأي د. طه حسين :

١- لأن فيه القبائل العربية وبنوع خاص المضرية العدنانية من الحجاز ونجد، والعدنانية أسرع العرب إلى الحس وإلى التأثر بحياة العاطفة، فيهم نشأ الشعر القديم، وهم الذين حافظوا عليه في العصر الإسلامي، وهم أصحاب لذة دائمة يجدونها ويتهالكون عليها منذ عصورهم القديمة في مظاهر الخمر والغناء.

٢- والسبب الأهم حدث عندما ضعفت السلطة الأموية وقامت الدولة العباسية وفي ذلك الوقت طالب الموالي بالمساواة مستغلين إقبال الخلفاء للذتهم أولاً، وللخروج على التقاليد ثانياً، فحياة الثورة التي كان يحياها الموالي في العراق كانت في ذات الوقت الذي كان فيه قصر الخليفة وولي العهد يتحضر على طريقة الحجازيين.

ويقول المستشرق ول ديورانت إن اللهو لم يقتصر على ذلك وإنما شذ لدرجة نشأت طائفة من المخنثين المحترفين تشبهوا بالنساء في ثيابهم وعاداتهم، يضفرون شعورهم، ويصبغون أظافرهم بالحناء ويرقصون الرقص الخليع، وعاقبهم سليمان بن عبد الملك بخصاء من كان في مكة من المخنثين، وأبصر الهادي امرأتين تباشران عملية السحاق فأمر بقطع رأسيهما، على الفور. لكن اللواط والسحاق رغم ما

فـرض عليهمـا مـن العقـاب الصـارم أخـذا ينتشـر انتشـار سـريعاً حتـى كانـا كـثيرى الحدوث في بلاط هارون الرشيد[٥٠].

مـا يهمنـا في هـذا الموضـوع أن فـترة " ركـود نسـبي علـى المسـتوى الاجتمـاعي-السياسـي" وحتـى الأخلاقـي - ولـيس الأدبـي- مقارنـة مـع العقـود الأولى أتاحـت المجـال لانتشار كل ما هو شاذ أحيانا و مسل وظريف حتـى أن هنـاك مـن اتخـذ مـن الحماقـة مهنة يعتاش بهـا وتـروي كتـب الـتراث عـن بعـض الأذكيـاء أنهـم رأوا أن سـوق النـوادر عن الحمقـى رائجـة تـدر علـى أصـحابها الأمـوال الطائلـة، ومـنهم الشـاعر الحمـدوني، الذي لامه الناس على تحامقه، فقال :"حماقة تعولني خير من عقل أعوله ثم أنشد:

عذلونـي على الحماقـة جهـلا وهي مـن عقلهـم ألذ وأحلى

حمقي اليـوم قائم بعيـالـي سيموتون- إن تعاقلت- ذلا[٥١]

فالعامة لم تعد لأمور السيف وإنما للكلام الرقيق وعليه " فالشعر الذي رتع فيـه جرير الفرزدق أوائل القرن الثاني مل منـه الجيـل الجديـد" كمـا يقـول د. طـه حسـين، وهـكذا اسـتعيدت مـع الأيـام والسـنون عصـبيات المـاضـي بطـرق أخـرى مختلفـة كـان منها القصص الهجائي ما أدى إلى استعار "حرب الأيديولوجية الفكاهية"، متخذة من الآراء والعقائد والانتماءات وقوداً للصراع، ولما كان الشيعة والقيسية ألد أعداء أهـل حمص أخذوا يؤلفون القصص والنوادر عليهم.

---

(٥٠) قصة الحضارة، ص١٣٥-١٣٦

(٥١) علي القيم- صحيفة البعث- ٢٠٠٤/٦/١٠

حرب الأديولوجية الفكاهية

حمص والتعصبات الطائفية/القبلية

يتجلى الغموض الذي يكتنف تاريخ النكتة الحمصية في كونها تتشكل في قسمها الأعظم من التاريخ الشعبي ولكون هذا التاريخ"تطور وتحور وعاش حراً طليقاً، قبل أن يقيده الطبع والحفظ"[٥٢] فقد بقي بعيداً عن تاريخ السلطان وهو التاريخ المعتمد عبر العصور. وهناك الكثير من الظواهر التي يجب العودة فيها إلى التاريخ الشعبي ولا سيما موضوع النعوت والألقاب التي تكنى بها مدن أو أشخاص فكما هو معروف من منطق الحياة اليومية فإن لقب شخص يعطينا فكرة كاملة عنه. والذاكرة الشعبية تحتفظ بالكثير من ألقاب العائلات للدلالة على صفاتها، وإذا سألت شخص من هذه العائلة أو أحد المقربيين منهم عن سر التسمية يقدم لك تفسيراً مختلفاً تماماً عن تفسير أهل الحي وغيرهم. لذلك فالتاريخ الشعبي واضح وصريح ومباشر لكن عوامل الكبت الاجتماعية تقيده وتدفنه بعيداً في الذاكرة الشعبة أو اللاوعي الشعبي ويبقى يظهر على شكل أساطير وقصص وحكايات ونوادر عن شخص ما أو قبيلة أو مجتمع معين.

يمكن تقسيم الجانب التاريخي للنكتة الحمصية إلى قسمين، ما يتداول على أنه رواية شعبية انتقلت من جيل لآخر وتم تحريفها بفعل الدور الذي تمارسه الذاكرة الشعبية على الأحداث. والثاني ما جاء في بعض المصادر التاريخية من روايات متفرقة أغلبها يعتمد على السرد الشعبي للحدث.

الرواية الشعبية:

أبرزها تلك التي تقول أنه عندما اجتاح تيمورلنك بلاد الشام كانت المدينة الوحيدة التي سلمت من أذاه هي حمص، لأن سكانها تظاهروا بالجنون في الشوارع

---

(٥٢) أديب الأسطورة عند العرب، فاروق خورشيد

وعلقوا على رؤوسهم القباقيب وأخذوا يقرعون على الصحون النحاسية، وأشاعوا أن مياه العاصي تصيب كل من يشربها بالجنون. هذا ما جعل الجيش الجرار الذي يرافق تيمورلنك يمر مروراً سريعاً بحمص، حدث ذلك يوم أربعاء. هذه الرواية تروى أيضاً عن الحملات الصليبية بدل تيمورلنك. المهم أن الرواية الشعبية تجانب الصحة كما تقول المصادر التاريخية في أن تيمورلنك مرَّ بحمص مروراً دون التعرض لها بأذى

وتختلف الروايات من شخص لأخر، منها أنه[٥٣] :

❖- {عندما دخل التتار بلاد الشام كانوا يعيثون فيها فساداً وتدميراً وعندما حاولوا الاقتراب من مدينة حمص، اجتمع وجهاء المدينة، وبعد اجتماع مطول ومباحثات مكثفة قرر كبير الحماصنة الاحتيال على المغول وصادف ذلك أنه كان يوم أربعاء وقرروا أن يفتحوا أبواب المدينة فلما دخلها المغول اندهشوا عندما وجدوا أهلها يلبسون ثيابهم بالمقلوب ويسيرون إلى الوراء ويتحدثون بطريقة معكوسة، فأمر قائدهم جيوشه بالهروب بسرعة إلى خارج المدينة خوفاً من أن يصيبهم المرض الذي أصاب أهل حمص وبعد ذلك قرر كبير الحماصنة اعتبار يوم الأربعاء مناسبة وطنية وعيداً سعيداً، وصارت سمة لكل حمصي وشيئاً يفتخر به}.

❖- { أثناء الاحتلال العثماني، كان هنالك آغا على مدينة حمص وكان يفرض على سكان المدينة أن يلبسوا قبقاباً في الصيف وصندلاً من الجلد في الشتاء. وعندما قرر الوالي زيارة مدينة حمص جاء توقيت الزيارة في شهر شباط، ومعروف أن شباط صاحب مزاج ومتقلب الأجواء ولم يعرف الحماصنة كيف ينفذوا الأمر، فلبسوا في رجل صندل الجلد وفي الأخرى قبقاب الخشب وحدث أن تساقطت الأمطار فوقفوا على رجل واحدةً حاملة الصندل ورفعوا الأخرى حاملة القبقاب. وكان ذلك يوم أربعاء}

❖- ومن الروايات أيضا أن {أصل قصة يوم الأربعاء، أنه في حرب علي ومعاوية كان قد أرسل الأول رجلاً إلى بلاد الشام ليستطلع الأخبار وحدث أن سرق جمله...

---

(٥٣) صحيفة الدومري الساخرة- العدد-٣٩- الاثنين ٢٠٠١/١١/٢٦

ودخل إلى المدينة ليبحث عن جمله وإذا بالمؤذن يؤذن لصلاة الجمعة وكان ذلك يوم أربعاء. وصل هذا الرجل إلى معاوية ليسأله ذلك فقال له: اذهب إلى مولاك وقل له سوف أحارب بقوم لا يفرقون بين الناقة والبعير، ويصلون الجمعة في أي يوم يريده الأمير..}

❖- ومنهم من يرى: { أن أصل التسمية متعلق بالصراع الذي كان قائماً بين المسلمين في فترة سابقة ويؤكد المؤرخون أن أحد أطراف الصراع قام بتعبئة جند حمص للإسراع بها والسيطرة على مياه الفرات إلا أن الحماصنة طلبوا منه التريث حتى صلاة الجمعة وما كان من زعيم الحماصنة إلا أن أمر بالنداء لصلاة الجمعة، وكان ذلك اليوم أربعاء، فوسمت حمص وأهلها بعيد يوم الأربعاء}[٥٤]

نلاحظ أن الآراء السابقة كانت عبارة عن روايات تناقلها الأشخاص، فمنهم من رواها له جده أو والده أو أحد المقربين، أو سمعها عن طريق الصدفة، مع العلم أن لبعضها أساس تاريخي، حورته" الذاكرة الشعبية"، ولكن كل الآراء السابقة ليست كافية لتفسير كيف استطاع يوم الأربعاء الحمصي أن يحافظ على حضوره كل تلك القرون.

نعوت وألقاب:

يرى الأستاذ أنطون سابا في كتابه حمصنه: أن صيت الجدبة الحمصية نقل وما يزال ينقل إلى أصقاع الأرض من أهالي أربعة مدن سورية، حماه، دمشق، حلب، اللاذقية، ولهؤلاء ألقابهم أيضاً، وأغلبية الألقاب كانت عندما دخل تيمور لنك سورية، وكانت أول مدينة يدخلها هي حلب، فبعد مقاومة أهاليها لجيشه الجرار، كانوا يقولون" نحنا الحلبية رجيل" أي رجال "رجليْنْ " لكنها كلفتهم إثر انتصاره، جدع أنف كل ذكر منهم وقطع أذنه، حتى غدا واحدهم كالجربوع. ومن هنا لقبهم " بالجرابيع ".

(٥٤) راجع رسالة علي لمعاوية كما أوردها المسعودي، ص١٤

وعندما دخل إلى اللاذقية رفع أهلها الرايات البيض، لكنهم انقلبوا عليه غدراً، فأحرق اللاذقية بأهلها وحيواناتها ولم ينج منهم أحد. ولقبوا " بالمنافقين " .وبعد انتقامه توجه إلى حماه، وكان سمع عن مراجلهم من عبارة كانوا يرددونها تقول " نحنا الحموية منيحرين " من نحر وقاوم أي لا يقاومهم أحد.

وعندما دخلها تيمورلنك، أمر بقلع عين واحدة لكل ذكر فيها، لكثرة ما أصاب رجاله من سهام الحمويين، فلقبوا "بالعوران أو الظوطان".

أما أهالي دمشق فقد أرسلوا يتحدون تيمورلنك، وأنهم سيلقنوه درساً لن ينساه، لكن كان العكس فأمر بقتل الذكور فيها واستباحة النساء، ومنها نعت الجيل الجديد " ببناديق تيمورلنك ".

وعندما دخل تيمورلنك حمص، يتابع الأستاذ أنطون سابا، استقبله أهلها بالنخيل وأغصان الزيتون وراحوا يهتفون له " أهلاً وسهلاً بملكنا الجديد " ففرح تيمورلنك لهذا الاستقبال وتقبل هدايا أهل حمص، وهكذا سلم أهل حمص من أذاه. ولما وصلت الأخبار إلى منافسيهم " تملكهم الغيظ والحسد " وراحوا يتقولون "جدبها أهل حمص على تيمورلنك يوم الأربعاء فعفا عنهم " ثم اقتصرت عبارتهم فيما بعد " جدبها أهل حمص يوم الأربعاء " لتبريد نار حسدهم من نجاة أهل حمص دونهم.

يقول الأستاذ أنطون: "... أن يكون الإنسان أعوراً ظاهرة طبيعية جداً، ثم أن يتهم بالبندقة فعلم ذلك عند الله، أما أن يصاب الآدمي بجدبة مؤقتة لا بل وفي يوم محدد، أليس هذا مجرد ادعاء من حاسد لمحسود عجز عن الإتيان بما اجترح من خارق الذكاء للنجاة من أذية وحش آدمي شرس".

و نضيف على قول الأستاذ أنطون أن أهل حمص لم يوصفوا بالجبن أو الاستسلام لأنهم لم يقاتلوا تيمورلنك، ولم يلقبوا بالضعفاء أو المستسلمين، لأنهم معروفون بقوتهم، حتى أن ياقوت الرومي، يقول : " أن اسم حمص مشتق من الحماسة، لأنها مدينة الأقوياء "(٥٥) .

---

(٥٥) منير أسعد، تاريخ حمص، ص٣٨

وحتى الآن يقال "حمص العدية " وهي مشتقة من الاعتداد بالنفس. ويقول الرحالة ابن جبير[قام برحلته بين عامي ١١٨٢-١١٨٥م] : " أهل هذه البلدة موصوفون بالنجدة والتمرس بالعدو ، وبعدهم في ذلك أهل حلب " . إذاً تعامل أهل حمص مع عدوهم بالطريقة السليمة .

عن نعوت المناطق الأخرى يقول بو علي ياسين في كتابه بيان الحد بين الهزل والجد : ينعت الشوام بالبخل و الخبث والملعنة ويقال / بناديق الشام أو بناديق تيمورلنك/. والحوارنة بالتخلف والفظاظة ، حوراني غازل حبيبته قائلاً : دقات قلبي وقلبك مثل رفسات البغل ". وفي جبل العرب يوصفون بالعناد والشجاعة ، يقال/الدروز كبار روس/. ويطلق على أهالي الجزيرة ديرية ديرية أو شاوية وتعني رعاة الغنم ، دون التمييز بين أهالي الحسكة ودير الزور والرقة ، ويوصف الشاوية بضعف التمدن " ديري سافر خارج دير الزور لأول مرة في حياته ، فقال عندما غادرها : بخاطرتش يا سوريا ". أما أهالي حلب فيوصفون بالفضول والحشرية " كان مصطفى يهرش في جسمه ، فسأله أبو أحمد : هلق إنتي كل قديش بتتحمم يوب ، أجاب والله يعني كل كام سنة بتحمم شي مره ، أجاب أبو أحمد يا لطيف! إيشو سمكة خاي ". ولا ينجو أهالي ادلب من السخرية ، فيقول البعض:أن الداخل إلى المدينة تستقبله عبارة " أهلاً بكم وبأولادكم ". أما أبناء اللاذقية فيقولون عن جيرانهم أبناء طرطوس" غسل إيديك إن صافحت طرطوسي"[٥٦]

نعوت وألقاب من العالم:

ولكثير من الأقوام نكت يرمون بها أنفسهم ، أو يرمون بها غيرهم ، وكلها ترجع إلى صفاتهم وخصائص جبلتهم التي يمتازون بها عن غيرهم ، فالإنجليز مثلاً مصابون بالبرود والإسكتلنديون بالبخل كاليهود ، والطليان يتصفون بالشجاعة على طريقتهم ، وبالتالي تكون النكت على هذه الصفات "[٥٧]. والفرنسيون يتندرون على غباء البلجيكيين ، والغريب أن برنامج فرنسي مشهور عن السحر- على قناة-MTV

---

(٥٦) بيان الحد بين الهزل والجد، ص٢٢٦ وما يليها

(٥٧) النكتة المصرية،عبد العزيز سيد الأهل،ص١٩

تتدر فيه أحد الضيوف قائلاً أن البلجيكيين "حيوانات غبية"، و أغلب الدول الأوربية تتندر على البلجيكي "المعتوه، الغبي...".

ويروى الأستاذ جهاد الخازن في إحدى حلقات زاويته المشهورة "عيون وآذان" التي يكتبها في جريدة الحياة، أن الأوربيين عامة يتندرون على "الأميركي الغبي":

❖- ما الفرق بين أمريكي وببغاء؟ واحد عالي الصوت، يردد كل ما يسمع بدون تفكير ويوسخ الأرض حوله، والثاني طائر.

❖- أميركي غبي وأميركي ذكي وبابا نويل كانوا يسيرون في الشارع، رأوا مائة دولار، أي من الثلاثة يلتقطها؟ الأميركي الغبي لأنه لا يوجد أميركي ذكي ولا بابا نويل.

هذه النكتة تروى اليوم عن أهل حمص على الشكل التالي:

حمصي ذكي وحمصي غبي و ديناصور كانوا يسيرون في الشارع، رأوا مائة ليرة، أي من الثلاثة يلتقطها؟ الحمصي الغبي لأن الحمصي الذكي والديناصور انقرضوا منذ بدء التاريخ.

تيمورلنك، سيد الدمار

ربما أخذت هذه الظاهرة مداها بعد "سبي" تيمورلنك بلاد الشام، لكن بعض المصادر التاريخية تخبرنا "أنه لم يدخل حمص لأن فيها قبر خالد بن الوليد ". وذلك " بعد أن خرج لاستقباله أحد أعيانها ويدعى" عمر ابن الرواس الذي أحسن استقبال الفاتح وقدم له هدايا فاخرة. و" بذلك كانت حمص هي المدينة الوحيدة في بلاد الشام التي سلمت من بطش تيمورلنك"[٥٨].

بالعودة إلى الرواية نرى أن حرب الأيديولوجية الفكاهية، اتخذت مظهراً تعويضياً للهزيمة المرة على يد هذا السفاح وهذا ما أتاح انتشار العديد من الألقاب لهذه المدن فأصبحنا نسمع جدعان حلب، منافقي اللاذقية، بناديق الشام، عوران حماة. و لم يبق من هذه الألقاب إلا جدبان حمص وبدرجة أقل بناديق الشام و عوران

---

(٥٨) تيمورلنك وحكايته مع دمشق، أكرم حسن العلبي، ص١٤٢

حماة. روى لي أحد مسني مدينة حمص بيت شعر عن صفات أهل بعض المدن السورية أنشده أحد ظرفاء حمص:

لحمص أم لحماة المرء ينتسب هناك العمى وهنا المعشر الجدب

وفي دمشق علاكات مصدّيـة وللتنـاحة دار اسمهـا حـلـب

ولكن، هل من صفات أهل حمص الجدبة، لذلك تلقى عنهم النكت ؟

لاحظنا أن الرواية الشعبية لا تعود إلى جذور الموضوع، لذلك فالنتائج التي سنحصل عليها بعد الاطلاع على المصادر الأدبية و التاريخية سوف تجيبنا على ذلك.

أما المصادر التاريخية، فتقسم المستوى التاريخي إلى قسمين: الصراع السني/الشيعي الصراع القيسي/اليمني.

فالنكتة الحمصية ليست في شكلها الحالي إلا الصيغة العصرية للقصص والنوادر التي نقلها مؤرخين مثل المسعودي والأدباء من أمثال ابن الجوزي.

الصراع السني/الشيعي

إن لم تكن موقعة صفين- السابقة الذكر- بداية الصراع السني/ الشيعي" المسلح"، فقد أخذت هذا الطابع مع مرور الوقت حاملة معها نقمة الإمام علي على أهل حمص.

يقول المؤرخ الألماني فرانتس ألتهايم في كتابه "إله الشمس الحمصي" أن حمص" تعد من أكثر مدن سورية تعصباً (تعصب ديني) في الماضي والحاضر"(٥٩).

لكن الباحث فراس السواح الذي راجع ترجمة هذا الكتاب يقول في معرض تعليقه على هذه النقطة:" لا ندري كيف كون المؤلف فكرته هذه عن أهل حمص، ذلك أن شخصية الحمصي كما يعرف الجميع تتصف بالانفتاح والسماحة والطابع الشمولي، وهو لا يتعصب حتى لمدينته ذاتها".

رغم ما اتصفت به حمص من شمولية و انفتاح، إلا أنها كانت مركز لتجاذبات صراع العصبيات الدينية/السياسية العربية، فأهل حمص كانوا من أشد الناس على علي، بصفين في حربه مع معاوية، وأكثرهم تحريضاً عليه وجداً في حربه، على ما يقول القزويني وياقوت الحموي.

ولكن يخبرنا التاريخ أن عصبية أهل حمص لم تلتف حول معاوية فقط، رغم أن سورية كانت طيلة العهد الأموي " على مذهب أهل السنة، لكن الضغط الذي تميزت به سياسة العباسيين أفسح المجال أمام تعاليم العلويين"(٦٠)، فلما انقضت أيام الأمويين" صاروا (أي أهل حمص) من غلاة الشيعة، حتى أن في أهلها كثيرٌ ممن رأى مذهب النصيرية، وأصلهم الإمامية الذين يسبون السلف"، كما يقول ياقوت الحموي في معجم البلدان.

---

(٥٩) إله الشمس الحمصي، فرانتس ألتهايم، ت.إيرينا داود، ص٥٨

(٦٠) تاريخ سورية، مصدر سابق، ص١٨٩

لكن - وبشيء من التوسع- كان لانتشار المذهب الشيعي في بلاد الشام بشكل عام أهمية بحثية خاصة، فبعد انهيار وضع الشيعة في العراق، نتيجة عدم التزام معاوية بتنفيذ معاهدة الصلح مع الحسن بن الإمام علي، وخصوصاً البند الخامس، الذي أمن أصحاب علي وشيعته، تشتتوا في البلاد المحيطة. وكان لبلاد الشام النصيب الأوفر من هذا المعترك. ففي هذا الإطار حصلت الهجرة الهمدانية الكبرى[٦١]، وكانت حمص أحد مواطن خمسة استقر فيها المهاجرون الهمدانيون القادمون من الكوفة١.

و تذكر دائرة المعارف للبستاني أن أهل حمص أطاعوا مذهب القرامطة لأنهم شيعة. وانحازوا إلى القداح داعي الفاطميين منذ أول ظهورهم"[٦٢].

وقبل ذلك دانت بالمسيحية، وقبلها كان لها ديانة خاصة بها دانت بها الإمبراطورية الرومانية هي ديانة" الشمس" التي جعلت كبير آلهة الأوليمب" جوبيتر" تابعاً لها. تظهر هذه الحقائق أن أهل حمص كانوا كثيري التقلب في الأمور الدينية، وسنوضح أسباب ذلك في حينه[٦٣]؟.

يروي أبو الفرج الأصفهاني :

" أن خطيب أهل حمص كان يصلي على النبي (صلعم) على المنبر وكان أهل حمص كلهم من اليمن لم يكن فيهم من مضر إلا ثلاثة أبيات (من بات)، فتعصبوا على الإمام وعزلوه فقال الشاعر ديك الجن الحمصي (وهو شيعي معتدل) يهجو أهل حمص:

---

(٦١) همدان قبيلة شهيرة يعود إليها الفضل في نشر التشيع في "الشام"، اعتمد عليها الإمام علي في حربه لمعاوية وقال فيها:

ولو كنت بواباً على باب جنة   لقلت لهمدان ادخلي بسلام

١الشيخ جعفر المهاجر- التأسيس لتاريخ الشيعة (٢) ستة فقهاء أبطال، ص١٥

(٦٢) ساطع محلي، حمص أم الحجارة السود- ١٩٦٣، ص٣٠

(٦٣) راجع مكانة حمص الدينية من هذا الكتاب

سمعوا الصلاة على النبي توالى	فتفرقوا شيعــاً وقالـوا لا لا
ثم استمر على الصلاة إمامهم	فتحزبوا ورمي الرجال رجالا
ياآل حمص توقعوا من عارها	خزياً يحــل عليكمو ووبـالا
شاهت وجوهكم وجوها طالما	رغمت معاطسها وساءت حالا (٦٤)

هذه المواقف المتناقضة والمتضاربة لأهل حمص دفعت ياقوت إلى أن يقول" فقد التزموا الضلال أولاً وأخيرا ، فليس لهم زمان كانوا فيه على صواب"

واضح من كل ذلك أن حمص لم تكن منعزلة عما كان يجري حولها من تغيرات، سيما أن شعبها عرف بشدة بأسه وحماسته وسهولة تفاعله وتكيفه مع المتغيرات المختلفة، وكون مدينة حمص تتوسط سورية فقد كانت البوتقة التي انصهرت فيها حضارات وشعوب وأديان ومذاهب متعددة. لذلك نراهم مرة من الناصبيين (المتدينين ببغض علي) ومرة أخرى من غلاة الشيعة يسبون السلف. فما هو سبب تعصبهم ودفاعهم عن المذهب"الدارج" إن صحت التسمية؟.

---

(٦٤) الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني(ت٣٥٦)،ج١٢، ص١٤٣

صراع القيسية واليمانية

قبل الفتح الإسلامي كان هناك صراع بين القبائل القيسية واليمانية، وعندما جاء الإسلام خفت حدتها في عهد الخلفاء الراشدين، ومن باب المصادفة أو من باب الاختيار، يقول المؤرخ المعاصر وليد قنبار، وضع اليمانيون في حمص، والقيسيون في حماه، وكان بنو أمية عندما يريدون أن يشغلوا الناس عن عمل السياسة يثيرون النعرات بين حمص وحماه"[٦٥].

يقول المثل الشائع" أذل من قيسي في حمص. وذلك لأن حمص حسب ما يرد في مجمع الأمثال..١/٢٨٣" كلها لليمن ليس بها من قيس إلا بيت واحد"[٦٦] "فهم أذلاء لقلتهم"[٦٧].

ومما ذكره اليعقوبي:" إن أهل حماة قوم من يمن والأغلب عليهم بهراء و تنوخ، وأهل حمص جميعاً يمن من طيء وكنده وحمير وكلب وغيرهم من البطون". ومن الأدلة الظاهرة على عراقة العرب في حمص، المثل المشهور" أذل من قيسي في حمص". وأصله كما يروي الرواة: أن رجلاً اسمه قيس من بني عدنان تخاصم مع رجل من بني قحطان، وطالت الخصومة بينهما حتى تحولت إلى حقد قاتل، وتعصب لكل منهما فريق من العرب، وأدى ذلك إلى حدوث فتنة شديدة بين الحجازيين واليمنيين سقط فيها كثير من الضحايا بين الفريقين. وتوارث حقد السلف وامتدت هذه العصبية إلى الحضر فحدث بينهم ما حدث بين البدو. وغلب اليمنية في حمص وذل بها القيسية وهجر أفرادها المدينة ولم يبق منهم فيها غير رجل واحد، فكان ذليلاً للغاية، حتى ضرب المثل في المذلة"[٦٨].

---

(٦٥) جريدة الحياة، الأربعاء ٢٧- ١٠-١٩٩٩

(٦٦) مجمع الأمثال، للميداني، ٢٨٣/١

(٦٧) كتاب جمهرة الأمثال تأليف الأديب أبي هلال العسكري٤٧١/١

(٦٨) تاريخ حمص، ص٢٧

وفي العهد الأموي كان التمركز الأكبر للعصبية اليمنية في حمص. والعرش السوري للأمويين قام على عواتق اليمنية، وكان عداؤهم للقيسية (عرب الشمال) مستحكماً راسخ الأصول[٦٩]. ولكن أحد الكتاب الشيعة- أشرنا إليه سابقاً- يقدم رواية مختلفة نوعاً ما يقول فيها " الثابت أن التشيع في الشام يماني. والمعروف أن سياسة معاوية الشامية، مالت إلى القيسيين في مقابل اليمانيين، حتى ثار الزبير فقلب عبد الملك الآية"[٧٠].

وعندما انتقل مركز الخلافة إلى العراق في العهد العباسي وانتهى "ربيع دمشق" اشتد النزاع في سورية المسلمة، بين القيسية واليمنية الحزبين اللذين ظهرا بمختلف الأسماء. وكان ضلع العباسيين مع القيسية بوجه عام، فاعتمدوهم في شؤونهم . وبلغ النضال أشده في خلافة هارون الرشيد وفيه سُفكت دماء كثيرة في دمشق وحوران والبقاع والأردن وحمص، ونشب القتال واستمر سنتين بلا هوادة و ذلك - فيما روي - **لأن قيسيّاً سرق بطيخة من بستان يمني** . حتى أن الخليفة فكر بتجريد حملة تأديبية عليهم يقودها بنفسه، ثم عاد فكلف بها قائداً من البرامكة، فجرد هذا المقاتلين من كل سلاح حتى لم يدع رمحاً ولا فرساً[٧١] .

ويظهر أن الخلفاء العباسيين ـ كما يقول الرحالة والمؤرخ وصفي زكريا ـ الذين ابتعدوا واتخذوا بغداد عاصمتهم، لم يعنوا بشأن الشام، ولم يرسلوا إليها عمالاً ذوي كفاءة وحسن إدارة، فكان ذلك مدرجة لحدوث الفتن والحروب الأهلية، خاصة في حمص وجندها. وهذه الفتن كانت تارة من القيام لإعادة الملك إلى الأمويين، وتارة من تأجج نار العصبيات بين القيسيين واليمانيين- وأهل حمص يمانيون نزاعون إلى الثورة- وتارة من الوثوب بأولئك العمال، ومجيء جيوش الخلفاء لتأديب المتوثبين، كما جرى في عهد الرشيد سنة ١٩٠هـ، والأمين سنة ١٩٤هـ، والمتوكل سنة ٢٤٠ و٢٤١هـ، وفي عهد المستعين مرة سنة ٢٤٨، وثلاث مرات سنة ٢٥٠، وفي كل فتنة أو

(٦٩) تاريخ سورية، ص١٥١

(٧٠) شوقي المهاجر، مصدر سابق، ص٢٠

(٧١) تاريخ سورية، ص١٦٥

وثبة كان ينال حمص وأهلها من الحرق والخراب والتنكيل شيء غير يسير، ولما ضعف شأن الخلفاء العباسيين، ظهرت ملوك الطوائف في الأقطار البعيدة... وفي عام ٢٩٠هـ وصل زعيم القرامطة أبو شامة من دمشق إلى حمص، أطاعه أهلها، وفتحوا له أبوابها، خوفاً منه وخطبوا له على منابره، وبذلك نجت حمص من شر القرامطة، على خلاف ما جرى بحماة وسلمية والمعرة وغيرها[٧٢]

بالإضافة لما سبق ونتيجة للمعارك التي خاضها أهل حمص ضد التتار سنة ٦٥٩ و ٦٩٩، والخراب الذي أورثه تيمورلنك في عامة مدن الشام، والطاعون الهائل الذي حصد سكان حمص فيما حصده من بقية مدن الشام سنة ٧٤٣هـ، وفتن الأعراب التي بدأت في تلك الحقبة، كل ذلك أضر بأرباض حمص وقراها الشرقية التي لا حياة لحمص بدونها، و حط شأنها فوق ما كان منحطاً من قبل، بفعل الثورات والروم(٣٥٨هـ- ٣٨١هـ- ٣٨٨هـ) والزلازل والصليبين[٧٣].

(٧٢) جولة أثرية في بعض البلاد الشامية، مرجع سابق ص٣٢١

(٧٣) مصدر سابق ٣٢٧

أهل حمص في نظر الجغرافيين والمؤرخين

المدن كالبشر، لها ناسوت قد يستمد عناصره من مناخها

نجاة قصاب حسن

بشكل عام يعود التأليف " في فضائل البلدان إلى القرن الثالث الهجري. وقد دفع إلى التأليف فيها عوامل كثيرة، أهمها يرجع إلى أسباب سياسية، أو عصبية"[٧٤]. ونحن إذ نستعرض ما قيل عن حمص سواء من مدح أو ذم، فإننا سنلاحظ أنها لم تخرج عن ذلك الإطار.

يرى **ابن الفقيه الهمذاني** [٣١٨ هجري] في كتاب البلدان، أن " مدائن الجنة أربعة: حمص، ودمشق، وبيت جبرين، وضفار اليمن".

و" **الأصطخري** (٩٥٠م) يقول إن شوارع حمص وأسواقها كلها تقريباً مرصوفة بالحجارة ويقول المقدسي إن نساءها ذوات جمال رائع وبشرة رقيقة"[٧٦].

ويروي **المسعودي** في تاريخه (٩٥٦م-٣٤٦هـ) أن عمر بن الخطاب لما فتح العراق والشام ومصر كتب إلى أحد حكماء ذلك العصر قائلاً :" إنّا أُناس عرب وقد فتح اللّه علينا البلاد، ونريد أن نتبوأ الأرض ونسكن البلاد والأمصار فصف لي المدن وأهويتها ومساكنها وما تؤثره التربة والأهوية في سكانها. فكتب له الحكيم عندما أتى على ذكر الشام ما يلي" أما الشام فسُحُبٌ وآكام، وريح وغمام، وغداق ورُكَام، ترطب الأجسام وتبلد الأحلام وتصفي الألوان، لاسيما أرض حمص فإنها تحسن الجسم وتُصفي اللون وتبلد الفهم وتنزح غوره وتجفي الطبع وتذهب بماء القريحة، وتنصب العقول"[٧٧].

---

(٧٤) فضائل الأندلس وأهلها، حققه صلاح الدين المنجد، ص١

(٧٦) قصة الحضارة، ج١٣، ص١٥٧

(٧٧) مروج الذهب ومعادن الجواهر، المسعودي، المجلد الثاني، ص٦٦-٦٧

وفي كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، يشرح لنا **المقدسي** (٣٣٥-٣٩٠هـ) ما عاناه من جهد لكي يضع هذا الكتاب الذي قسمه إلى ثلاثة أقسام أولها "ما عاينه" إذ لم يبق إقليم إلا وقد دخله وأقل سبب إلا عرفه، والثاني ما "سمعه من ثقات أهل العلم والوزراء" والثالث " ما وجده في الكتب المصنفة". وذلك كله حتى يعلم الناظر في كتابه أنه " لم يصنفه جزافا ولا رتبه مجازا ويميزه من غيره فكم بين من قاسى هذه الأسباب وبين من صنف كتابه في الرفاهية ووضعه على السماع ولقد ذهب لي في هذه الأسفار فوق عشرة آلاف درهم". ذكرنا تلك المعاناة لأن المؤلف توصل بعد كل ذلك إلى حكمة يعطينا إياها قائلاً:" إعلم أن كل بلد فيه صاد فأهله حمق إلا البصرة، فإن اجتمعت صادان مثل المصيصة وصرصر فنعوذ بالله" وهو عندما يذكر خصائص الأقاليم يقول:" : ...لا أعصى من أهل دمشق ولا أوطا من أهل مصر ولا أبله من أهل البحرين ولا أحمق من أهل حمص..."

ويصف لنا حمص على النحو التالي:" حمص ليس بالشام بلد أكبر منها وفيها قلعة متعالية عن البلد ترى من خارج أكثر شربهم من ماء المطر ولهم أيضا نهر. ولما فتحها المسلمون عمدوا إلى الكنيسة فجعلوا نصفها جامعا عنده بالسوق قبة على رأسها شبه رجل من نحاس واقف على سمكة تديرها الأرياح الأربع وفيه أقاويل لا تصح والبلد شديد الاختلال متداع إلى الخراب والقوم حمقى[٧٨]"

وابن **جوقل** [عاش في القرن العاشر الميلادي] في كتابه " صورة الأرض" يقول إن:" حمص مدينة مستواه، وخصبة أيضاً، وكانت أيام عمارتها صحيحة الهواء، من أصح بلدان الإسلام تربة، وكان في أهلها خبال ويسار، فدخلها الروم غير دفعة فأحالوها..".

وفي النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي، نقرأ للشاعر والجغرافي اليوناني **أفينوس**، وصفاً لروائع أذهلته عند زيارته حمص، يقول:" من الجهة التي تخرج نيران النهار من مهدها، ترفع حمص رأسها المجلل بالضياء. أما جوانبها فتمتد بعيداً على

---

(٧٨) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، محمد بن أحمد المقدسي، ص١٤٣

الأرض في كل اتجاه، بينما ترتفع أبنيتها حتى تلامس عنان السماء. ويبدي سكان المدينة ذكاؤهم بممارسة كل أنواع الدراسات الجادة التي يندفع إليها شيوخها بحماسة أكبر... وعلى مدى غير بعيد تقوم مياه العاصي اللازوردية اللون بشق الأرض بتيارها وتتدفق معربدة حتى تلامس أرياف أفاميا قبل أن تصل إلى مدينة أنطاكية في نهاية المطاف"[٧٥].

أما الرحالة **ابن جبير**[٥٤٠، ت ٦١٤هـ -١٢١٧م] فيناقض نفسه عندما يصف المدينة، فهو يقول:" حمص حرسها الله تعالى فسيحة الأسحة مستطيلة المساحة نزهة لعين مبصرها من النظافة والملاحة موضوعة في بسيط من الأرض عريض مداه لا يخترقه النسيم بمسراه يكاد البصر يقف دون منتهاه أفيح أغبر لا ماء ولا شجر ولا ظل ولا ثمر فهي تشتكي ظماءها وتسقى على البعد ماءها فيجلب لها من نهيرها العاصي وهي منه بنحو مسافة الميل وعليه طرة بساتين تجتلي العين خضرتها... وأحمد خلال هذه البلدة هواؤها الرطب، ونسيمها الميمون تخفيفه وتجسيمه، فكأن الهواء النجدي في الصحة شقيقه وقسيمه.." ويضيف" سألنا أحد الأشياخ بهذه البلدة: هل فيها مارستان على رسم مدن هذه الجهات؟ فقال وقد أنكر ذلك: حمص كلها مارستان! وكفاك شهادة أهلها فيها!

في كتابه آثار البلاد وأخبار العباد يقول **القزويني**{١٢٠٣-١٢٨٣م}- ص١٨٥- : حمص مدينة بأرض الشام، حصينة أصح بلاد الشام هواء وتربة، وهي كثيرة المياه والأشجار ولا يكاد يُلدغ بها عقرب وتسهى حية... وأهلها موصوفون بالجمال المفرط والبلاهة، و يضيف القزويني " أما حكومة قاضي حمص فمشهورة، ذُكر أنه تحاكم إليه رجل وامرأة، فقالت المرأة هذا الرجل أجنبي مني وقد قبلني، فقال القاضي: قومي إليه وقبليه كما قبلك، فقالت: عفوت عنه! فقال لها: مري راشدة" ويضيف إن أشد الناس على علي، رضي الله عنه، بصفين مع معاوية، كان أهل حمص وأكثرهم تحريضاً عليه وجداً في حربه، فلما انقضت تلك الحروب ومضى

---

(٧٥) إمبراطورات سوريات، جان بابليون، ترجمة يوسف شلب الشام، ص٢٤

ذلك الزمن صاروا من غلاة الشيعة، حتى أن في أهلها كثيراً ممن رأى مذهب النصرانية، وأصلهم الإمامية الذين يسبون السلف".

ويلتقي **ياقوت الحموي**/نسبة إلى حماة ٥٦٧هـ، ت٦٢٦-١٢٢٨م/مع القزويني في ذلك، ويضيف عليه: فقد التزموا الضلال أولاً وأخيرا، فليس لهم زمان كانوا فيه على صواب" ويقول ياقوت أيضاً:" ومن عجيب ما تأملته من أمر حمص، **فساد** هوائها وتربتها، الذين يفسدان العقل، حتى يضرب بحماقتهم المثل".

يقول شيخ الربوة **شمس الدين الصوفي** (٦٥٤هـ-١٢٥٦م)، (٧٢٧هـ- ١٣٢٧م)، صاحب كتاب" نخبة الدهر في عجائب البر والبحر" "... حمص مدينة قديمة... ماؤها وهواؤها صحيح. ومن حسن بناء حمص أنه لا يوجد فيها دار إلا وتحتها في الأرض مغارة أو مغارتان وماء ينبع للشرب. وهي مدينة فوق مدينة. وأهل مدينة حمص يوصف عامتهم بقلة العقل، ويحكى عن سوقتهم حكايات تشبه الخرافات"[(٧٩)].

أما **أبو الفداء**[المتوفى ٧٣٢هـ] /صاحب حماه، وهي مسماة باسمه/ فيقول في كتابه تقويم البلدان:" حمص مدينة أولية، وهي إحدى قواعد الشام، وهي ذات بساتين شربها من نهر العاصي" ويضيف:" قال العزيزي: مدينة حمص أصح بلدان الشام هواء.."

ويصف الرحالة **ابن بطوطة** ولد٧٠٣هـ، ١٣٠٤م رحلته لحمص قائلاً: ثم سافرت إلى مدينة حمص وهي مدينة مليحة أرجاؤها مؤنقة، وأشجارها مورقة، وأنهارها متدفقة، وأسواقها فسيحة الشوارع...، وأهل حمص عرب لهم فضلٌ وكرم .."

أما **الشريف الإدريسي** فيقول في كتابه/ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق/ :"حمص مدينة حسنة في مستو من الأرض، وهي عامرة بالناس والمسافرون يقصدونها.. ومسرات أهلها دائمة وخصبهم رغد ومعايشهم رفيقة، وفي نسائها جمال وحسن بشرة.. وهواؤها ،أعدل هواء يكون بمدن الشام".

---

(٧٩) تاريخ حمص، عيسى أسعد، ص٢٦١

وفي كتاب منجم العمران في المستدرك على معجم البلدان **لمحمد ابن الخانجي نقرأ**: حمص "... مدينة جميلة قديمة واقعة في مستوى من الأرض كانت سابقاً من أكبر البلدان وأحسنها وهي خصبة الأراضي كثيرة المزارع والبساتين يسقيها نهر العاصي وهي جميلة الهواء بها كثير من الجمال المفرط والفطنة وإن كان ظاهر أهلها يوهم البلاهة وصناعتها رائجة ولأهلها براعة في الأنسجة القطنية والحريرية"[٨٠].

ونجد في رأي لاحق، التأثر برأي أغلب السابقين، ففي كتاب أخبار الدول في آثار الأول، **لأحمد بن يوسف القرماني** (توفي ١٠١٩هـ، ١٦١٠م) جاء أن حمص مدينة حسنة بالشام في مستوى من الأرض، أصح بلاد الشام هواء وتربة وهي كثيرة المياه والأشجار، ولا يكاد يلدغ بها عقرب... وأهلها موصوفون بالبلاهة[٨١]، وفي موقع آخر من الكتاب أن "أهلها في خصب وأرغد عيش وفي نسائها جمال فايق"[٨٢].

أما **الدمشقي** (١٨٨٨م): فيرى" مدينة حمص، جيدة التربة، معتدلة الهواء، متسعة الأرجاء، تحيط بها قرى كثيرة، ولكن أكثرها خراب نظراً لاعتداء عرب البادية عليها. وأهالي المدينة نحو عشرين ألف نسمة ثلثهم نصارى والباقي من المسلمين. ولم أرَ فيها نصرانياً غير مولع بالسكر. وكثيرون منهم يكتبون خطاً جميلاً. وقد خرج منها أفراد مشهورون بالعقل والذكاء حال كون عامتهم تغلب عليهم السذاجة"[٨٣].

و من القرن الماضي وتحديداً عام ١٩٦٣ نقرأ في استطلاع أجرته مجلة العربي عن حمص، أن:" شوارع حمص" تختلف عن شوارع أي بلد أخر... وسياراتها أكثر ضوضاء وجلبة من أي سيارات أخرى.. حتى أرصفتها لا يمكن السير عليها لأنها مغطاة ببضائع الباعة. وتحت الأشجار في شارع السرايا، تجري المجادلات

---

(٨٠) ساطع محلي، مصدر سابق، ١٩٦٣، ص ٢٦- ٢٧

(٨١) أخبار الدول في آثار الأول، لأحمد بن يوسف القرماني، ص٣٥٣

(٨٢) مصدر سابق، ص٣٠٥

(٨٣) تاريخ حمص عيسى أسعد ص٣٨٦

والاتفاقات، والمفاوضات، بين أهل البادية، و أهل حمص الأذكياء، الذين يعتبرون من أمهر الوسطاء في عالم التجارة... وتاريخ مدينتهم يشهد بأنها كانت "همزة وصل" بين العالمين القديم والحديث... فحمص تشترك مع حلب ودمشق في السيطرة على حركة التجارة والمرور بين الشرق والغرب، والفرس والروم، ووادي النيل، ووادي دجلة، حتى أن هذا الطريق الأخير، الذي كان يربط بين أقدم حضارتين، يعتبر في نفس الوقت أقدم طريق تجاري عرفه العالم[٨٤]..؟.

أما **محمد ناجي العطري** محافظ حمص خلال عقد التسعين من القرن الماضي الذي تولى منصب رئيس الوزراء فيما بعد فيقول إن المحطة "التي أعتز فيها هي محطة حمص، حمص كانت مدرسة بالنسبة إلي، أنا تعلمت من حمص العمل الإداري، وتوجد نصيحة دائماً أقولها لا توجد حاجة لتبعث مسؤول لدراسة الأمور الإدارية وكي تسلمهم موقع مسؤولية ابعثهم إلى حمص..

خصوصية حمص تأتي حسب ما يرى العطري من أنها مجتمع متميز عن غيره من المجتمعات (ذكي ـ متحرر ـ متطور) هناك تكافل اقتصادي لا نراه في غيره من المجتمعات، يقول: أنا أحببت المجتمع الحمصي ويمكن هم بادلوني نفس الشعور فكانت العلاقة بيني كمسؤول وبينهم كمجتمع ـ بدءً من البادية السورية وحتى الحدود اللبنانية ـ عميقة. يضيف فترة خدمتي في حمص كان فيها انطلاقة، ويكشف لنا أن أداءه "الذي حدث في حمص هو السبب الرئيسي في مجيئي إلى دمشق، فوجئت وأنا أحد الناس الذين فوجئوا كنت أتوقع مجيئي من حمص إلى محافظة أخرى ، ثم في حمص يوم التغيير الوزاري فوجئت وأسميها نقلة نوعية بان أنتقل من محافظ إلى نائب رئيس مجلس وزراء دون المرور في مرحلة وسطية [٨٥]

هكذا رأوا حمص، منهم من زارها ومنهم من نقل ما رواه غيره، منهم من وصف أهل حمص بالذكاء وأغلبهم وصفهم بالبلاهة واليسار . في المحصلة معروف أن الرحالة لا يختار كما يفعل سائحو اليوم الوقت الذي يصل فيه إلى منطقة ما،

---

(٨٤) **العربي، العدد الثاني والخمسون، مارس، ١٩٦٣**

(٨٥) **محمد ناجي العطري، صحيفة تشرين، ٩تشرين الأول٢٠٠٥**

وبالتالي لا يستطيع أن يتحكم بطقسها ولا بطبيعتها... أما أن تكون تربة حمص والهواء الذي يتنفسه أهلها مبرراً لوسمهم بالحمق والبلاهة، فأمر يمكن للفصول السابقة واللاحقة أسبابه.

طبيعيٌ لمن يكّون رأي عن أهل منطقة ما أن تؤثر معاملة أهلها في تكوين الانطباع عنهم. مثلاً تقول بعض الروايات إنه"حين جاء المتنبي إلى مصر حمل عليه سيبويه المصري (أول نكتي شهير في مصر، عاش في عهد كافور الإخشيدي) حملة شعواء، وكان ذلك من الأسباب التي نفرت المتنبي من أهل مصر وجعلته يهجوهم بشعره الرائع"(٨٥).

بشكل عام فإن إثارة الإشاعات حول مدينة مهمة، يكون إما بدافع المداعبة أو الإقلال من أهميتها أو تفريغاً لعصبيات دينية أو سياسية، فإذا ناقشنا رأي ياقوت الحموي مثلاً وجدنا موقفه - إذا استثنينا العصبية المحلية بين الحموية (القيسية) وأهل حمص (اليمانية) وتشيعه - نفهم أن اليوم الذي وصل فيه ياقوت حمص كان فصل شتاء وشتاء حمص غزير المطر كثير الزوابع والعواصف الثلجية وما تجره من برد وصقيع(٨٦)، هذا بالإضافة إلى الأثر المديد للرياح الشهيرة التي تهب على المدينة من الغرب وهذه الرياح هي التي جعلت أشجار حمص تميل وتتحني(٨٧). ولكن ذلك لا يعني إلا أنه استغل مناخ المدينة ليعكس موقفه من أهل حمص.

ونحن لاحظنا اختلاف آراء الرحالة سابقاً. وتأثيرهم بمن أتى بعدهم. وهناك قول ظريف لأحد أبناء حمص: إن تيمورلنك لم يصب حمص بمثل ما أصابها به ياقوت الحموي! هذا الرجل الذي يدعي أنه حموي بينما هو رومي لحماً ودماً، وقد انتحل صفة الحمويين ليشفي غليله من الحمصيين والحمويين في آن واحد: يشنع على حمص، ويعيش على حساب حماة بالصحة والعافية(٨٨)...

---

(٨٥) علي مروّة، موسوعة الأدب الضاحك، ج٢، ص١١-١٢

(٨٦) حمص دراسة وثائقية نعيم الزهراوي ومحمود السباعي، ص٢٠١

(٨٧) حمص... رحابة المكان، مرافئ الزمان، العربي- العدد ٤٥٦- تشرين الثاني١٩٩٦

(٨٨) العربي، العدد الثاني والخمسون، مارس، ١٩٦٣

وكونه لم يكن هناك وسائل متطورة للتأكد من رأي الرحالة فإن رأيه كان يتداول من خلال كتبه حتى يأتي رحالة آخر يستفيد من رأيه لينفيه أو يؤكده أو يعلق و يضيف عليه كما لاحظنا. ولكن خطورة الموضوع تكمن في أن المعلومة الأولى تبقى الأرسخ في الذهن كما أن الرواية تتعرض لإضافات عندما تخضع " للمعالجة الشعبية " فهي تتضخم وتؤول ... إلخ، وبالتالي ليس من المستغرب أن يقول اليوم شخص لحمصي وهو على يقين في أغلب الأوقات هل صحيح أن أهل حمص مجاديب ؟.

هل يمكن العثور في كتب التاريخ عن وصف موضوعي لمدينة حمص خارج إطار التحزبات و التعصبات؟

الأمر ليس مستحيلاً... ولكن في مكان يبعد عن مدينة حمص آلاف الكيلومترات، وتحديداً إلى بلاد الأندلس، لننظر ما كتبه علمائها فيما يخص مدينة اشبيلية"حمص الأندلس":

مدينة عامرة على ضفة النهر الكبير المعروف بنهر قرطبة، وأهلها ذوو أموال عظيمة و تجارات رابحة، وهي من أحسن مدن الدنيا ويضرب بأهلها المثل في الخلاعة وانتهاز فرصة الزمان الساعة بعد الساعة ويعينهم على ذلك واديها الفرج وناديها البهيج.

وقال بعضهم في إشبيلية إنها قاعدة بلاد الأندلس وحاضرتها ومدينة الأدب واللهو والطرب وفيها كثير من المتفرجات والمتنزهات[٨٩]. من محاسنها اعتدال الهواء وحسن المباني، وواديها لا يخلو من مسرة فجميع أدوات الطرب وشرب الخمر فيه غير منكر لا ناه عن ذلك ولا منتقد ما لم يؤد السكر إلى شر وعربدة وقد رام من وليها من الولاة المظهرين للدين قطع ذلك فلم يستطيعوا إزالته. وأهلها أخف الناس أرواحا وأطبعهم نوادر وأحملهم لمزاح بأقبح ما يكون من السب، قد مرنوا على ذلك فصار لهم ديدنا حتى صار عندهم من لا يبتذل فيه ولا يتلاعن ممقوتا ثقيلا، [ولكن ذلك

(٨٩) أحمد بن محمد المقري التلمساني (٩٩٢-١٠٤١هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، ج١، ١٥٧ وما بعدها

لا يعني أنها مدينة مستهترة، فعلماؤها في كل صنف رفيع أو وضيع جدا أو هزلا فأكثر من أن يعدوا وأشهر من أن يذكروا[٩٠].

لما تملك بنو أمية الأندلس كما يقول ياقوت بعد انتقالهم من الشام أيام هربهم من بني العباس سموا عدة مواضع بالأندلس بأسماء مدن الشام، فسميت" غرناطة بدمشق الأندلس لأنها أشبه شيء بها"[٩١] ونزلها أهل دمشق، ونزل أهل حمص إشبيلية، فسميت حمص الأندلس لأنها أشبه شيء بها، كما نستدل من تسمية غرناطة، هكذا هي حمص الشام، خارج إطار التحزبات والعصبيات ألم تشبه إشبيلية بحمص كيف لا، وحمص الأندلسية" مدينة الأدب واللهو والطرب" أما حمص الشامية فهي " كعبة" اللهو والأدب والطرب، كما سنرى بعد قليل.

وهكذا نجد أن وصف حمص الأندلسية، يتطابق مع وصف حمص الشام، ولكن أهلها يوصفون بأنهم أخف الناس أرواحا وأطبعهم نوادر وأحملهم للمزاح، هذه الصفة حُولت في حمص الشام لبلاهة و حمق " بالمعنى المادي" للكلمة.

ألا يبين ذلك أن ما وصف به أهل حمص لم يكن إلا كلمات أقحمت في كتب التاريخ والأدب والجغرافيا لحد يبدو فيه التناقض ظاهراً في أقوال من كان **ناقماً** على أهل هذه المدينة. مدفوعاً بتعصبات طائفية و سياسية جعلتنا حتى اليوم **نعيش ماضينا حاضراً أبديا.**

---

(٩٠) فضائل الأندلس وأهلها، لابن حزم(٤٥٦هـ)، وابن سعد، والشقندي(٦٢٩هـ) نشرها، ص٥٢،٥١،٥٠

(٩١) نفح الطيب، مرجع سابق، ١/١٧٣

الأحمق الحمصي في الأدب العربي

من قال لأخيه ياأحمق استوجب نار جهنم(الأنجيل، متى ٢٢:٥)

قمنا فيما سبق بعملية" التداعي الحر" لنعرف طفولة النكتة الحمصية، ورأينا كيف برزت عوامل الكبت التاريخي (السياسي والديني) وفعلت فعلها بشكل ملحوظ في طمس الأسباب الكامنة خلف" شخصية الأحمق الحمصي". ولكن هل تلك الأسباب كافية لأن يستمر التندر على أهل حمص أكثر من ١٤٠٠سنة؟

من العوامل التي أدت إلى استمرار التندر على حمق أهل حمص مساندة الأدب للتاريخ. إذ حفظ لنا هو الآخر الكثير من الحوادث عن "الأحمق" الحمصي. و" لكثرة ما ضحك المجتمع العربي من المغفلين و الحمقى (بشكل عام) قام بعض أئمة الأدب والفكر، بجمع أخبارهم ونوادرهم" [٩٢]، فكانت فرصة لإيراد الأحمق الحمصي بين صفحات كتبهم حتى أن ابن الجوزي صنف أهل حمص بين "الحمقى والمغفلين على الإطلاق" (المغفل: من لا فطنة له).

لابد أن نعرف أولاً، كيف نظرت العرب إلى الأحمق؟

" قال ابن الأعرابي: الحماقة مأخوذة من حمقت السوق إذا كسدت فكأنه كاسد العقل والرأي فلا يشاور ولا يلتفت إليه في أمر من الأمور، والحمق غريزة لا تنفع فيها الحيلة وهو داء دواؤه الموت، قال الشاعر:

لكل داء دواء يستطب به إلا الحماقة أعيت من يداويها

والحمق مذموم، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

"الأحمق أبغض الخلق إلى الله تعالى إذ حرمه أعز الأشياء عليه وهو العقل... والسكوت عند الأحمق جوابه".

---

(٩٢) أدبنا الضاحك، ص٩٣

نظر أحد الحكماء إلى أحمق يجلس على حجر فقال: حجر على حجره.. ويقال للأبله السليم القلب هو من بقر الجنة لا ينطح ولا يرمح والأحمق المؤذي هو من بقر سقر (جهنم)"[٩٣] يقول الإمام الأوازعي (ت١٥٧ هـ): بلغني أنه قيل لعيسى بن مريم عليه السلام: يا روح الله إنك تحيي الموتى؟ قال: نعم بإذن الله، قيل وتبرئ الأكمة (المولود أعمى)؟ قال: نعم بإذن الله، قيل: فما دواء الحمق؟ قال: هذا الذي أعياني (أعجزني)[٩٤]. هذا بعض مما رواه الأبشيهي عن الحمق، وهو يستند في روايته إلى ابن الجوزي، أما في الرواية المسيحية فقد جعل السيد المسيح أقسى عقوبة بين النعوت لمن يسم أخيه بالأحمق متى٥: ٢٢" أما أنا فأقول لكم ان كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم.ومن قال لأخيه رقا يكون مستوجب المجمع.ومن قال يا احمق يكون مستوجب نار جهنم.

يروي المسعودي في تاريخه: حادثة حصلت بين هشام بن عبد الملك ورجل من أهل حمص[٩٥]، جاء فيها:

أن هشام بن عبد الملك عرض يوماً الجنود بحمص، فمر به رجل من أهل حمص وهو على فرس نَفور، فقال له هشام: ما حملك على أن تربط فرساً نفوراً؟ فقال الحمصي: لا والرحمن يا أمير المؤمنين، ما هو بنفور، ولكنه أبصر حَولتك فظن أنها عين غزوان البيطار، فقال له هشام: تنح، فعليك وعلى فرسك لعنة الله. وكان غزوان البيطار نصرانياً ببلاد حمص كأنه هشام في حولته وكشفته[٩٦].

(٩٣) المستطرف، مرجع سابق، ١/٤٣-٤٤

(٩٤) ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، ص١٧

(٩٥) نقلها بن الجوزي مختصرة.

(٩٦) مروج الذهب ومعادن الجواهر، المسعودي، المجلد الثالث، ص١٩٧

ابن الجوزي و أهل حمص

أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، ولد وتوفي في بغداد (٥١٠-٥٩٧هـ). اشتهر بالأجوبة اللطيفة والمسكتة فضلاً عن البديهة. منها أنه وقع نزاع بين السنة والشيعة ببغداد في المفاضلة بين أبي بكر وعلي، فرضي الكل بما يجيب به الشيخ ابن الجوزي، فسألوه وهو في مجلس وعظه عن ذلك فقال: أفضلهما بعد رسول الله من كانت ابنته تحته، ثم نزل في الحال وذهب لئلا يعاودوه في ذلك. فقال أهل السنة هو أبو بكر لأن ابنته عائشة كانت تحت النبي، وقالت الشيعة هو علي لأن فاطمة بنت النبي (ص) كانت تحته![٩٧] ونذكر أن روايات بن الجوزي عن الأحمق الحمصي، كانت مادة رئيسية في اقتباسات الكتاب والأدباء في الماضي والحاضر، يتناقلونها في الكثير من الأحيان على أساس أنها طرائف تبعث على الضحك، دون معرفة الأسباب الكامنة خلفها.

في كتابه أخبار الحمقى والمغفلين وتحت عنوان " في ذكر المغفلين من القضاة" يقول ابن الجوزي[٩٨]:

قال أبو الفضل الربعي: سأل المأمون رجلاً من أهل حمص عن قضاتهم قال: يا أمير المؤمنين، إن قاضينا لا يفهم وإذا فهم وهم. قال: ويحك كيف هذا؟ قال: قدم عليه رجل رجلاً فادعى عليه أربعة وعشرين درهماً، فأقر له، فقال أعطه، قال: أصلح الله القاضي، إن لي حماراً اكتسب عليه كل يوم أربعة دراهم، أنفق على الحمار درهماً وعلي درهماً وأدفع له درهمين، حتى إذا اجتمع ماله غاب عني فلم أره فأنفقتها، وما أعرف وجهاً (وسيلة) إلا أن يحبسه القاضي اثنا عشر يوماً حتى أجمع له إياها، فحبس صاحب الحق حتى جمع ماله، فضحك المأمون وعزله".

---

(٩٧) موسوعة الأدب الضاحك، مرجع سابق، ج٦، ص٥٩

(٩٨) أخبار الحمقى والمغفلين، ابن الجوزي، ص٩٦-٩٧ .أوردها الأستاذ عبد الغني العطري، في كتابه أدبنا الضاحك، ص٢١٨

وتحت عنوان في ذكر المغفلين من المؤذنين نقرأ:

- **" كان سعيد بن سنان المهدي مؤذناً بجامع حمص؟ وكان شيخاً صالحاً يسحر الناس في رمضان فيقول في تسحيره: استحثوا قديراتكم، وعجلوا قبل أن أُأَذِّن فيسخم الله وجوهكم وتحردوا "[99].**

ونطالع في الباب الرابع والعشرون، وهو: في ذكر المغفلين على الإطلاق:

- **قال أبو العيناء: كنت بحمص فمات لجارٍ لي بنت، فقيل له: كم لها؟ قال: ما أدري، ولكنها ولدت أيام البراغيث[100].**
- **عن معمر أنه قال: دخلت مسجد حمص فإذا أنا بقوم لهم رواد، فظننت فيهم الخير فجلست إليهم، فإذا هم ينتقصون علي بن أبي طالب ويقعون فيه، فقمت من عندهم، فإذا شيخ يصلي ظننت فيه الخير فجلست إليه، فلما أحس بي وسلم قلت: يا عبد الله ما ترى هؤلاء القوم ينتقصون علياً ويشتمونه، وجعلت أحدثه بمناقبه وأنه زوج بنت رسول الله وأبو الحسين وابن عم الرسول. فقال: يا عبد الله، ما لقي الناس من الناس، ولو أن أحد نجا من الناس، لنجا منهم أبو محمد رحمه الله، هوذا يشتم وحده، قلت ومن أبو محمد؟ قال الحجاج بن يوسف وجعل يبكي، فقمت عنه وقلت: لا يحل لي أن أبيت في هذه البلدة، فخرجت من يومي[101].**

و يتابع بن الجوزي سرد أخبار المغفل الحمصي:

- **حكي أن جماعة من أهل حمص تذاكوا في حديث الأعضاء ومنافعها، فقالوا: الأنف للشم، والفم للأكل، واللسان للكلام، فما فائدة الأذنين! فلم يتوجه لهم في ذلك شيء، فأجمعوا على قصد القضاة ليسألوه، فمضوا، فوجدوه في شغل، فجلسوا على**

---

(٩٩) ابن الجوزي، مصدر سابق، ص١٠٥

(١٠٠) ابن الجوزي، مصدر سابق، ص١٦٥. أوردها الأستاذ عبد الغني العطري، في كتابه أدبنا الضاحك، ص٩٤

(١٠١) ابن الجوزي، مصدر سابق، ص١٣٤. نقل هذه الحادثة علي مروة في موسوعته عن الأدب الضاحك الجزء السادس، طرائف الأذكياء والمغفلين ص٦٤-٦٥.

باب داره وإذ هناك خياط فتل خيوطاً و وضعها على أذنه. فقالوا: قد أتانا بما جئنا نسأل القاضي عنه، إنما خلقت للخيوط، وانصرفوا مسرورين بما استفادوا"[١٠٢].

- عرض هشام بن عبد الملك الجند فأتاه رجل حمصي بفرس، كلما قدمه نفر. فقال هشام: ما هذا؟ قال الحمصي: يا سيدي هو جيد، لكنه شبهك ببيطار كان يعالجه فنفر.

- اجتاز أهل حمص بشيخ لهم، لم يكن فيهم أعقل منه ولا أكمل مع ابنين له معروفين عندهم بالعقل والكمال، فأوفدهم إلى الرشيد لمظلمة كانت بهم، فلما وردوا الباب وأذن لهم دخل الشيخ فقال: السلام عليك يا أبا موسى، فعلم انه أحمق وأمره بالجلوس، ثم قال: أحسبك قد طلبت العلم وجالست العلماء؟ قال: نعم يا أبا موسى. قال ومن جالست من العلماء؟ قال أبي، قال: وما كان يقول في عذاب القبر؟ قال: كان يكرهه، فضحك الرشيد ومن حضر. ثم قال: يا شيخ من حفر البحار فيما سمعت؟ فسكت الشيخ، فقال أحد ولديه: قد حفرها موسى حين طرق له. قال: فأين طينها؟ فقال الولد الثاني: الجبال، ففرح الشيخ بحسن جواب ولديه، وقال: والله ما علمتهما، ما هو إلا إلهام من الله تعالى وله الحمد.

- وفد على الرشيد ثلاثة من حمص، فدخل أحدهم فرأى غلاماً على رأسه فظنه جارية، فقال: السلام عليك يا أبا الجارية، فصفع وأخرج. فدخل الثاني فقال: السلام عليك يا أبا الغلام، فصفع وأخرج. فدخل الثالث فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال له: كيف صحبت هذين الأحمقين؟ قال: يا أمير المؤمنين لا تتعجب منهم فإنهم لما رأوك بهذا الزي ورأوا لحيتك طويلة قدروا أنك أبو فلان، فقال الرشيد: أخرجوه، قبح الله بلدة هؤلاء خيارهم[١٠٣].

---

(١٠٢) ابن الجوزي، مصدر سابق، ص١٧٢-١٧٣

(١٠٣) ابن الجوزي، مصدر سابق، ص١٧٢-١٧٣. أوردها الأستاذ عبد الغني العطري، في كتابه أدبنا الضاحك، ص٩٥

وفي كتابه الأذكياء يروي ابن الجوزي[١٠٤]:

- **"خرج بعض حذّاق المكدين/المحتالين من المتسولين/ من بغداد إلى حمص ومعه امرأته، فلما حصل بها قال: إن هذا بلد حماقة، وأريد أن أعمل حيلة فتساعديني" (باختصار) أمرها أن لا تمر به إلا بعد سنة، وخلالها اعتزل في الجامع ولم يكلم أحداً طيلة هذه المدة، فعظم شأنه عند أهل حمص، وزاد مجلة، حتى أنهم كانوا يتمسحون به واعتبروه أحد " الأبدال"، وكان طلب من زوجته قائلاً: "إذا كان يوم جمعة حين يصلي الناس، فتعالي فاعلقي بي ولطمي وجهي وقولي: يا عدو الله يا فاسق، قتلت ابني ببغداد، وهربت إلى ههنا تتعبد، وعبادتك مضروب بها وجهك، ولا تفارقيني، واظهري أنك تريدين قتلي بابنك، فإن الناس سيجتمعون إليك، وأمنعهم من أذيتك، وأعترف بأني قتلته وتبت، وجئت إلى ههنا أتعبد، والتوبة، والندم، على ما كان مني، فاطلبي قودي/القصاص مني/ بإقراري، وحملي إلى السلطان، فيعرضون عليك الدية فلا تقبليها، حتى يبذلوا لك عشر ديات أو ما استوى لك بحسب ما ترين من زيادتهم، وحرصهم، فإذا تناهت أعطيتهم في افتدائي إلى حد يقع لك أنهم لا يزيدون بعده شيئاً فاقبلي الفداء منهم، واجمعي المال وخذيه واخرجي من يومك إلى بغداد، ولا تقيمي في البلد، فإني سأهرب وأتبعك". وكان ما خططا وعندما طلبت المرأة قتل الرجل دافع عنه أهل حمص قائلين:" يا عدوة الله هذا من الأبدال، هذا قوّام العالم، هذا قطب الوقت"، لكن المرأة أصرت على أخذ حقها وقتل الرجل" فقال الشيوخ: يا قوم لقد ضللتم عن مداواة هذه المحنة، وحراسة بلدكم بهذا العبد الصالح، فارفقو بالمرأة واسألوها قبول الدية نجمعها من أموالنا" فجمع لها أهل حمص مائة ألف درهم، وأبت المرأة إلا " قتل القاتل" " فأقبل الناس يرمون ثيابهم وأرديتهم وخواتيمهم والنساء حللهن فأخذت المرأة ذلك وأبرأته من الدم" وغادرت حمص، ثم هرب"المحتال" في بعض الليالي وطلب فلم يوجد ولا عرف له خبر. حتى انكشف أنه كان حيلة، بعد مدة طويلة".**

---

(١٠٤) ابن الجوزي الأذكياء، ص١٢٦-١٢٧-١٢٨

إذا نزعنا من بداية القصة عبارة هذا بلد حماقة، كيف يمكن أن ننظر إلى موقف أهل حمص؟

ميز بن الجوزي بين الأحمق و المجنون، "فالحمق والتغفيل هو الغلط في الوسيلة والطريق إلى المطلوب مع صحة المقصود، فمن ذلك أن طائراً طار من أمير فأمر أن يغلق باب المدينة!فمقصود الرجل حفظ الطائر. أما الجنون، فإنه عبارة عن الخلل في الوسيلة والمقصود جميعاً"[(١٠٥)]. وبعد بن الجوزي بمائة عام بدأ الناس يتلقون أخبار الحمصي مع توسيع دائرة حمقه إلى الجنون، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن لتصنيع الشخصية المسلية مزاجية خاصة تختلف من شخص لأخر. خاصة وأن الناس أخذت تتلقى هذه الأخبار دون وضعها في سياقها التاريخي

---

(١٠٥) أخبار الحمقى والمغفلين، مرجع سابق، ص١٥

مصادر أخرى

ابن العبري (٦٢٥-٦٨٥هـ)

يروي العلامة بن العبري في كتابه نوادر مضحكة[١٠٦] المكتوب بالسريانية ثلاث نوادر عن المجنون الحمصي تحت عنوان نوادر المختلين عقلياً أو المجانيين ص ١٢٤:

- **سئل رجل مجنون (دَيوُنو)[١٠٧]: احسب لنا عدد المجانيين في مدينة حمص، أجابهم: لا أستطيع عدهم لكثرتهم، لكن إذا أردتم أستطيع أن أعد لكم العاقلين فيها.**
- **مجنون من مدينة حمص، شرس يضرب الناس كثيراً. فقام إليه رجل بيده عصا وأخذ يضربه بقسوة. فأنبه الناس وقالوا له: اتركه فهو مجنون لا يعرف ما يصنع، فقال لهم المجنون: أرجوكم أفهموه، كرمى لله، فهو لا يعرف أني مجنون.**
- **شوهد رجل في مدينة حمص " يتزوج" امرأته في الحديقة العامة، فأنبه المارّون على فعلته قائلين: ألا تخجل من عملك هذا أمام الناس، أجابهم: إذا كتب أحدكم مقال في جريدة، يريه للجميع دون خجل، أما أنا فأكتب (أصنع) إنساناً كاملاً. فانفض الناس من حوله.**

نلاحظ أن المجنون في هذه النوادر متغابي أو متباله...إلخ ويبدو أن لأخبار الحمقى والمغفلين علاقة خاصة مع الإنسان، فهي تكسر بتصرفاتها الروتين الذي اعتاد أن يقضي الأمور من خلاله، فتحقق المفارقة التي تجلب الضحك وهذا ما استغلته حرب الأيديولوجيا الفكاهية أبرع استخدام.

---

(١٠٦) تونُيي مكَحخوني، نوادر مضحكة للعلامة مار غريغوريوس يوحنا ابن العبري مفريان المشرق ١٢٢٢. ترجم لنا هذه النوادر الأب يعقوب كامل طحان مشكوراً، وقد نبهنا إلى هذه النوادر المغترب عماد يعقوب. وابن العبري: من أكبر علماء القرن الثالث عشر. بدأ حياته كناسك ثم دخل سلك الكهنوت، وهو طبيب ومؤرخ وأديب ومن أعلام الكنيسة السريانية.

(١٠٧) وكلمة{ دَيوُنو } الواردة في الأصل السرياني تعني: مجنون - مختل- معاق – غير مبال...

الأبشيهي (٧٩٠-٨٥٠ هـ):

نعود إلى الأدب العربي وما رواه الأبشيهي عن الحمقى والمغفلين في " المستطرف من كل فن مستظرف" ونلاحظ الاقتباس عن بن الجوزي فيها:

- **" سُمع مؤذن حمص يقول في سحور رمضان تسحروا فقد أمرتكم، وعجلوا في أكلكم قبل أن أؤذن فيسخم الله وجوهكم[١٠٨].**

ومن نوادر القضاة يروي الأبشيهي[١٠٩]:

- **" أن تاجرا عبر إلى حمص فسمع مؤذنا يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن أهل حمص يشهدون أن محمدا رسول الله فقال والله لأمضين إلى الإمام وأسأله فجاء إليه فرآه قد أقام الصلاة وهو يصلي على رجل ورجله الأخرى ملوثة بالعذرة فمضى إلى المحتسب ليخبره بهذا الخبر فسأل عنه فقيل إنه في الجامع يبيع الخمر فمضى إليه فوجده جالسا وفي حجره مصحف وبين يديه باطية مملوءة خمرا وهو يحلف للناس بحق المصحف أن الخمرة صرف ليس فيها ماء وقد ازدحمت الناس عليه وهو يبيع فقال والله لأمضين إلى القاضي وأخبره فجاء إلى القاضي فدفع الباب فانفتح فوجد القاضي نائما على بطنه وعلى ظهره غلام يفعل فيه الفاحشة فقال التاجر قلب الله حمص، فقال القاضي لم تقول هذا فأخبره بجميع ما رأى فقال يا جاهل أما المؤذن فإن مؤذننا مرض فاستأجرنا يهوديا صيتا يؤذن مكانه فهو يقول ما سمعت وأما الإمام فإنهم لما أقاموا الصلاة خرج مسرعا فتلوثت رجله بالعذرة وضاق الوقت فأخرجها من الصلاة واعتمد على رجله الأخرى ولما فرغ غسلها وأما المحتسب فإن ذلك الجامع ليس له وقف إلا كرم وعنبه ما يؤكل فهو يعصره خمرا ويبيعه ويصرف ثمنه في مصالح الجامع وأما الغلام الذي رأيته فإن أباه مات وخلف مالا كثيرا وهو تحت الحجر وقد كبر وجاء جماعة شهدوا عندي أنه بلغ فأنا أمتحنه فخرج التاجر من البلد وحلف أنه لا يعود إليها أبدا".**

---

(١٠٨) الأبشيهي، تحقيق وتقديم عبد الله أنبس الطباع، ص٤٧٩

(١٠٩) الأبشيهي، مرجع سابق ٢/ ٤٧٧

ويورد القز ويني(1283_1203م) حادثة كنا ذكرناها سابقاً فهو يقول:

- **"أما حكومة قاضي حمص فمشهورة، ذُكر أنه تحاكم إليه رجل وامرأة، فقالت المرأة هذا الرجل أجنبي مني وقد قبلني، فقال القاضي: قومي إليه وقبليه كما قبلك، فقالت: عفوت عنه! فقال لها: مري راشدة".**

ويورد كل من ابن الجوزي والقزويني على لسان الجاحظ هذه الحادثة:

قال الجاحظ:

- **مررت بحمص فمر عنز يتبعه جمل. فقال رجل لرجل معه: هذا الجمل من هذا العنز؟ فقال له: لا ولكنه يتيم في حجرها[١١٠].**
- **مرت بحمص عنز تبعها جمل، فقال رجل لآخر: هذا الجمل لهذا العنز، فقال الآخر: كلا، إنه يتيم في حجره[١١١].**

نلاحظ في رواية ابن الجوزي أنه جعل الجاحظ شاهد عيان على الحادثة لتأكيد نظرته عن أهل حمص أنهم من "الحمقى والمغفلين على الإطلاق"، في حين لم يظهر الجاحظ في رواية القزويني إلا ناقلاً للحادثة على الرغم من تحامل الاثنين على أهل حمص. وبالطبع من شاهد الحادثة له مصداقية أكبر. وعليه فابن الجوزي يحاول إثبات أن الحمصي"أحمق" وأن حمص"بلد حماقة"!

ويروي صاحب الأغاني هذه الحادثة تحت عنوان أهل حمص لا يستطعمون غنائه:

- **قال حماد في خبره قال أبي حدثني بعض أهل العلم بالغناء عن حنين-الحيري- قال: خرجت إلى حمص ألتمس الكسب بها وأرتاد من أستفيد منه شيئا فسألت عن الفتيان بها وأين يجتمعون فقيل لي عليك بالحمامات فإنهم يجتمعون بها إذا أصبحوا فجئت إلى أحدها فدخلته فإذا فيه جماعة منهم فأنست وانبسطت وأخبرتهم أني غريب، ثم خرجوا وخرجت معهم فذهبوا بي إلى منزل أحدهم، فلما**

---

(١١٠) أخبار الحمقى والمغفلين، ابن الجوزي، ص١٣٧

(١١١) آثار البلاد وأخبار العباد، القزويني، ص١٨٥

قعدنا أتينا بالطعام فأكلنا وأتينا بالشراب فشربنا فقلت لهم: هل لكم في مغن يغنيكم، قالوا: ومن لنا بذلك، قلت : أنا لكم به هاتوا عودا فأتيت به فابتدأت في هنيات أبي عباد معبد فكأنما غنيت للحيطان لا فكهوا لغنائي ولا سوا به فقلت ثقل عليهم غناء معبد بكثرة عمله وشدته وصعوبة مذهبه فأخذت في غناء الغريض فإذا هو عندهم كلا شيء وغنيت خفائف ابن سريج وأهزاج حكم والأغاني التي لي واجتهدت في أن يفهموا فلم يتحرك من القوم أحد، وجعلوا يقولون: ليت أبا منبه قد جاءنا، فقلت في نفسي أرى أني سأفتضح اليوم بأبي منبه فضيحة لم يفتضح أحد قط مثلها، فبينما نحن كذلك إذ جاء أبو منبه وإذا هو شيخ عليه خفان أحمران كأنه جمال فوثبوا جميعا إليه وسلموا عليه وقالوا يا أبا منبه أبطأت علينا وقدموا له الطعام وسقوه أقداحا وخنست أنا حتى صرت كلا شيء خوفا منه فأخذ العود ثم اندفع يغني:

طرب البحر فاعبري يا سفينة　　　لا تشقي على رجال المدينة

فأقبل القوم يصفقون ويطربون ثم أخذ في نحو هذا من الغناء فقلت في نفسي أنتم هاهنا لئن أصبحت سالما، لا أمسيت في هذه البلدة فلما أصبحت شددت رحلي على ناقتي واحتقبت ركوة من شراب ورحلت متوجها إلى الحيرة وقلت ليت شعري متى تخب بي الناقة بين السدير والصنين محقبا ركوة وخبز رقاق وبقولا وقطعة من نون لست أبغي زادا سواها من الشام وحسبي علالة تكفيني فإذا أبت سالما قلت سحقا وبعادا لمعشر فارقوني(١١٢).

وإذا انتقلنا بعد ابن الجوزي وغيره بنحو ٥٠٠ سنة، نقرأ للدكتور ميخائيل مشاقة الدمشقي (١٨٨٨م): الذي رافق إبراهيم باشا خلال فتوحاته للبلاد السورية وصفاً لما سمعه عن أهل حمص وشهده بنفسه، فيقول: "حُكي لي قصص كثيرة عن سذاجتهم، لا يسعني ذكرها إذ قد يكون مبالغ فيها. وإنما أذكر منها ما شاهدته بعيني. وهو أنه في اليوم الثاني من دخولنا حمص (١٠ تموز ١٨٣٢)، عرض للأمير

(١١٢) الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ٢/٣٠٦-٣٠٧

إبراهيم باشا، أن في ناحية تل باب عمر قتلى وجرى من أولاد البلد يراد الكشف عنهم. فأرسلني الباشا للتحقيق في الأمر، فوجدتهم ثمانية رجال، أربعة منهم قتلى وأربعة جرحى، فسألت الجرحى عما أصابهم؟ فقالوا إننا أتينا هنا للفرجة على مكان العسكر فوجدنا كرة محشوة وفتيلها ظاهر. فأردنا أن نرى كيف تصعد وتهبط فأشعلنا الفتيل ووقفنا حولها ننتظر صعودها، ولا نعلم ما أعاقها عن الصعود، ثم انفجرت عندما اقتربنا وأصابنا ما تراه. فأذنت في دفن الموتى وعالجت المرضى ورجعت. ثم عرضت واقعة الحال لإبراهيم باشا فقال: اكتبها عندك لكي يقف منها المعلم بطرس كرامة(١١٣) على ذكاء أهل بلده...

ويروي علي مروه في موسوعته عن الأدب الضاحك، حادثة نقلها عن تاريخ المسعودي تقول:

ذهب رجل من حمص ليشتري زيتاً فلم يسع الإناء فقلبه وقال للزيات: صب الفاضل هاهنا فأريق الزيت. وصب له الزيات الباقي على أسفل الإناء، فلما رجع إلى امرأته أراد أن يحكي لها القصة فقال لها: قلبت الإناء هكذا ليصب الباقي... فأريق الجميع ...(١١٤)

هذه "الحادثة" الطريفة تحولت إلى نكتة لا يحددها زمان ولا مكان تقول النكتة:

دخل فيلسوف شارد الذهن إلى محل تجاري ليشتري آنية من الخزف، فلمح واحدة في وضع مقلوب، فقال مندهشاً: عجيب، إن هذه الأنية ليس لها فتحة في أعلاها. ثم تناولها فقلبها إلى الناحية الأخرى التي بها الفتحة وصاح مرة أخرى: عجباً ليس لها قاع" يعلق بو علي ياسين في على أن هذه النكتة نُشرت في مصر ١٩٤٧ وسمعها

---

(١١٣) شاعر مجيد، فصيح اللسان، له العديد من الموشحات و تأريخات مشهورة، من مواليد حمص ١٧٧٤ فوضه الأمير بشير الشهابي الكبير تدريس ولديه وجعله معتمداً من قبله في كل ما له صلة بوالي عكا وبشؤون الدولة، وعين مترجماً في بلاط الأستانة وفيها توفي ١٨٥١(تاريخ حمص، لعيسى أسعد)

(١١٤) موسوعة الأدب الضاحك، علي مروّة ج٦، طرائف الأذكياء والمغفلين ص٦٤-٦٥

"شخصياً" عن أهل حمص عام ١٩٨٩[٢٠٩]، ولكن مع فارق أنها ذكرت في تاريخ المسعودي "كحادثة تاريخية" وأصبحت فيما بعد "نكتة".

إذا دققنا في أخبار الحمقى والمغفلين بشكل عام، نلاحظ أنها في الغالبية كانت تتركز على أشخاص بعينهم محددين، كجحا، وهبنّقة...إلخ، في حين ذُكر الحمصي كشخص خاص يتم من خلاله الدلالة على العام، وحاول البعض ممن ذكر أخبارهم أن يركّب القصص بما يناسب الصفات العامة للأحمق، كي يرتديها الحمصي. وبالتالي نجحوا في إدخال الحمصي عالم الحمق من أوسع أبوابه. وكون "الأدب الضاحك" عند العرب بشكل خاص وبقية الشعوب عموماً غني بالسخرية والتهكم وذم الآخرين، فإن ذلك يصلنا إلى نتيجة مفادها أنه خلف كل نادرة أو طرفة أو نكتة يتحرك جيش من الخلافات.

---

(٢٠٩) **بيان الحد بين الهزل والجد، ص٢٣٣**

المعارضات الزينية على المنظومات الهلالية

حمص وحماة "الأعداء الحميمون"

أخذ صراع العصبيات المحلية في سورية يتحول من طابعه التعصبي إلى مُزاح وتسلية منذ فترة طويلة وتحديداً بعد "عصر الهزل" الذي ساد العصر العباسي، يمكن القول أن ذلك حدث بعد أن اندملت جراح السوريين مما ألحقه بهم تيمورلنك ولاحظنا الطابع الهزلي لهذه المصيبة التي حلت بأبنائها للتخفيف من وطأتها على الذاكرة الجمعية.

وهناك موضوع آخر حول التعصب إلى مزاح وهزل وهو ما يسمى المعارضات الزينية على المنظومات الهلالية، والتي يمكن اعتبارها نوع جديد مارسه الشعر مع انتقال العصبية إلى حالتها الهزلية لاسيما في القرن الثامن عشر، ولا أقصد أن هذه العصبية تلاشت تماماً وإنما تم تناسيها.

كان الشيخ مصطفى زين الدين الحمصي (١٨٢٦-١٩٠٠) أديباً وشاعراً، حسن الصوت، سافر إلى الأستانة ومنها إلى المدينة المنورة، ورجع بعدما طاف البلاد المصرية فرأى في تلك المدة أن الناس شديدو الإعجاب بالمنظومات الهلالية، التي ينظمها الشيخ محمد الهلالي الحموي [١٨٢٠-١٨٩٤] المشهور ببلاغته ونظمه للشعر والموشحات وكان ميالاً للجمال، أما الشيخ زين الدين فكان ميالاً لحب الطعام لدرجة التغزل به" وللناس فيما يعشقون مذاهب" فقرر معارضتها، وكان كلما خرج الشيخ الهلالي بقصيدة عارضها على نفس البحر متغزلاً بالمآكل، وعندما كانت تُحمَل للهلالي، ويقرأها كان يمتلئ غيظاً ويبالغ في ذمه قائلاً:لا أشبع اللّه بطنه، وربما يُعثَر بحمصي في حماة فيقول له: أما آن لكم أن تشبعوا جوعانكم يا أهل حمص، وكان الحمويون يتلقون معارضاته" بأن يكثروا المزاح مع الهلالي باستحسان أقواله ومعارضته لتقطيع الأوقات وجلب البسط..".

وأطرف ما جرى بينهما هي الدعوى التي رفعها الهلالي عليه، وانتهت المحاكمة بأن أمر القاضي الزيني أن يكف عن معارضة الهلالي وإلا عاقبه لأنه لا يعارض غيره، وبعد انتهاء المحاكمة قبّلا ذقنيّ بعضهما، وأقبلا بعد ذلك ليقبلا يد الباشا، فأجاز كل واحد منهما بذهب عثماني، فأعطى الهلالي ذهبه سراً للزيني، حتى يضمن أذاه. وما هي إلا أيام حتى عاد لمعارضته، فأنطلق الهلالي وعقله يكاد يخرج منه، باحثاً عنه في شوارع حماة، فوجده في دكان قصاب، يأكل، فعزمه الزيني، فقال له الهلالي: أحاله الله سماً ولا أشبع لك بطنك، ويحك ما الذي دعاك إلى نقض العهد ومخالفة أوامر الحاكم، فقال الزيني، حملني على ذلك الجوع وحب الطعام. فقال له الهلالي: ولمَ لا تذهب إلى بلدك؟ أجابه: أنا ضيف، فهل رأيت أو سمعت من يطرد الضيف؟. فقال: يطرد إذا كان ثقيلاً مثلك. فقال الزيني: لو كنت ترى ما أفعله معك من الإكرام مقابل طردي. فقال الهلالي: ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين، ما عاذ الله أن أحل ببلدة أنت فيها.." ولكن كما يروى فقد أصبحا صديقين حميمين فيما بعد. ومن معارضات الزيني للهلالي، نختار هذه الأبيات: يقول الهلالي في أحد قدوده:

يا بدر حسن كم سهرت أراقبه والليل مالت للغروب كواكبه

ما من كليم الوجد أنت مصاحبه إلا ومغناطيس حسنك جاذبه

للحن و الألحان قم يا أخا الأشجان بالحور و الولدان

فالحب دين والجمال مذاهبه

ويعارضه الزيني:

يا صدر بصما كم برزت أحاربه والقطر طابت للنفوس مشاربه

ما من أرز واللحوم تصاحبه إلا و مغناطيس بطني جاذبه

بالكف و الأسنان بالله يا جوعان قم سقسق الرغفان

فالجوع شينٌ والطعام يناسبه

وفي قدٍ أخر يقول الهلالي:

نبه النـــدمان صاحـي	إن داعي الأنس صــاح
حيث من أيــدي الملاح	لاح نجـم الكـــأس لاح

يعارضه الزيني:

قدِّم الخـــرفان ناحـــي	إن داعي البطـــن ناح
حيث من لحم الأضاحـــي	راح هم الجـــوع راح[١١٥]

(١١٥) عن ديوان تذكرة الغافل في استحضار المآكل، جمعه: محمد الخالد الحلبي الحمصي

ليتوروجيا عيد المجانين المندثر

مجاديب أم مجاذيب

" قال ولد لأبيه: لماذا يقولون عنا مجاديب، أجابه والده نحنا **مجاذيب، ويحورون الكلمة حسداً**، دُقْ عَ الخشب يا ابني، فدق الولد، قال له الأب انتظر حتى أفتح الباب، قال له الولد: خليك قاعد يا بابا، أنا أفتح الباب".

يكتفي كثير من المدافعين عن " ذكاء أهل حمص" بالقول عن عدم دراية أو جهل أن أهل حمص مجاذيب وليسوا مجاديب التي حورت لوسم أهل حمص بالجدبة ويعتقدون أن مجاذيب جاءت من "الجاذبية، أو جمال الشخصية".

في الحقيقة لا يختلف المعنيان لغوياً بحسب معجم المنجد الأبجدي فالمجدوب هو الأبله، والمجذوب هو المختل عقلياً. لكن الناحية الاصطلاحية- إن صحت التسمية- تختلف تماماً، وهناك أيضا تسمية تكنى بها حمص وهي مدينة الدراويش والفقراء وهي تسمية يتداولها أهالي المدن السورية عن هذه المدينة.

وفي الطرق الصوفية يشكل المجذوب والدرويش درجة رفعية من درجاتها، فالطريقة الرفاعية[١١٦] مثلا دخلت إلى حمص [١٧٦٤م-١١٨٣هـ] وكان لمشايخها تصور كوني في تدبير العالم الذي يعيشون فيه فهم يرون أن الدرجات الصوفية هي كما يلي: أقطاب الدائرة، الأوتاد، الأَبدال: ومسكنهم الشام، الأنجاب، النقباء: مسكنهم المغرب، المجاذيب وهم صالحي هذه الأمة وهم رجال الغيب المعنوّن (بأهل اللّه)[١١٧].

أكثر من ذلك فإن حضور الطرق الصوفية في مدينة حمص ترك بصمة واضحة في التراث الديني لهذه المدينة وتشترك الطرق الصوفية بشكل عام بدرجات مريديها:

١ـ المريد ٢ ـ الشاويش ٣ـ النقيب ٤ـ الدرويش ٥ ـ الخليفة.

---

(١١٦) مؤسسها أحمد الرفاعي (٥١٢- ٥٧٨هـ، ١١ ١٨-١١٨٢م)

(١١٧) حمص دراسة وثائقية، ص٢٨٣

وإذا عدنا إلى قصة المحتال لابن الجوزي الذي حاول استغلال "حمق أهل حمص" نلاحظ ورود ذكر للأبدال، و للأبدال مكانة مميزة لدى أبناء المنطقة وهذا يتضح مما قاله الإمام علي بصفين" وأهل العراق يسبون أهل الشام: يا أهل العراق لا تسبوا أهل الشام، فإن فيهم رجالاً كارهين لما ترون، وإنه بالشام يكون الأبدال"[(١١٨)] وهذه القصة تُفَسِر ليس حمق أهل حمص وإنما استهتار بغداد في الشؤون الدينية الأمر الذي حالت إليه البلاد في العصر العباسي كما مرّ سابقاً.

إذاً يقترب هذا الأمر من الصحة عندما نعلم أن الجذب الصوفي أو " المجذوب" هي مرتبة من مراتب التصوف، وعلى الرغم من انتشار الطرق الصوفية في العديد من البلاد الإسلامية ومنها بلاد الشام، إلا أن حمص حازت على أهمية خاصة في هذا المجال، و ليس غريب على حمص أن تكون مركزية من الناحية الدينية ونحن نتذكر الآن ديانة الشمس الحمصية التي وصلت إلى روما في عهد جوليات حمص (جوليا دومنا وممايا وميسا) اللواتي حكمن روما.

هنا تبرز أهمية التوسع في مجال تاريخ الأعياد والطرق الصوفية، لعدة أسباب: أولها لأن انتقاء يوم الأربعاء يوماً للمجانيين في حمص لم يكن عبثياً فله جذوره الدينية وثانيها مرتبط بالأول إذ كان لأهالي حمص طقوس يمارسونها في الأعياد بدايات القرن الماضي ولها جذور في العبادات القديمة.

يــوم الأربعــاء:

الأربعاء رمز الشؤم والتطير عند العرب. فابن العباس يعتبر" آخر أربعاء في الشهر نحس مستمر" و أحد الشعراء يقول:

الأربعاء وحش النحس فيه منكمش،

والأخذ والعطا   من ذوي المودات خطا

ويمثل يوم الأربعاء في "ذاكرة التراث السوري" المشاكسة والمعاكسة والإخفاق في العمل (متل الأربعا بنص الجمعة) ويحمل الحزن والهم (الأربعا دمعة) (الأربعا يوم

(١١٨) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر(٤٤٩-٥٧١هـ)، تحقيق: علي شيري

وِحِشْ والـرزق فيـه مـنـكـمـش) ومـن يولـد ـيـ هـذا اليـوم يـكـون رديء العيشـة وسـيئ الحـال[١١٩].

ونتـذكـر مـا قيـل عـن أهـل حمـص ـيـ الروايـة الشـعبية بعـد نجـاتهم مـن بطـش تيمورلنك "جدبها أهل حمص، يوم الأربعاء" " وفيه يحتفلون بعيدهم.

فهل يصح أن يكـون يوم الأربعـاء يوم للمجـانين ؟ و مـا هـو يوم المجـانين ؟ وأي نوع من المجانين كان من يحتفل به؟

ما يثير الاستغراب أن العرب كانت تعتبر هـذا اليـوم يـوم" نـدى ومكـارم" إلا أنـه أصبح يوم للشؤم على حد تعبير الشاعر

أقول ليوم الأربعاء وقد غدا

علي بوجه أغبر اللون قاتم

بعثت علي الأيام نحساً مؤبداً

بشؤمك يا يوم الندى والمكارم

عـرف هـذا اليـوم ـيـ التـاريخ الإنسـاني باسـم الرمـز التوتـوني الأكـبر "وودن" رمـز الحكمة والشعر الحرب .[١٢٠]

يـورد الدكتورعبـد الكـريم اليـا ـيـ ـيـ كتابـه/دراسـات فنيـة ـيـ الأدب العربـي/ الفصل الذي يدرس فيه أعمال، المفكـر الإسـلامي الصـوـيـ محـي الـدين ابـن عربـي، قصيدة لإبن عربي يبحث فيها اختصاصات يوم الأربعاء، تقول هذه القصيدة:

سلام على عيسى المسيح ابن مريما	**نبي لــــه الأرواح أيـــان يميمـــا**
علــى ســر إحياء المـوات ونشـــرها	**فكان ليـوم الأربعـــــاء متمـــما**
وكاتبــه الوهمي يرســـل وهمــــــه	**على روح الفرار فيسمى مجسما**
فكان لطيفـــاً في التحـاليل صانعاً	**وكان شجاع في التراكيب مقدما**

---

(١١٩) جريدة الخليج-١٥ آب/١٩٩٥مقال بعنوان حرب النكتة... بين حمص وحماة

(١٢٠) المرجع السابق

يقول د. اليافي: ربط ابن عربي يوم الأربعاء بالسيد المسيح، ونعثر في القصيدة أيضاً على لفظ الفرار وهو الزئبق عند العرب، وأهميته عند القدماء كبيرة في الكيمياء، ومن المعروف أن لفظ الزئبق باللاتينية هو مركوريوس، وهو يدل أيضاً على الإله المسمى بهذا الاسم، وعلى كوكبه عطارد، وقد أعطى الإله مركور الروماني اسمه ذلك المعدن وخصص له يوم الأربعاء، فيوم الأربعاء بالفرنسية MERCUREDI هو يوم مركور MERCURII DIES، ويعلمنا تاريخ الديانات وتاريخ الفكر الإنساني والفلسفة والميثولوجيا، بحسب د.اليافي أن مركور عند الرومان يقابل هرمس عند اليونان وهما يقابلان تحوت عند المصرين القدماء وهو إله العلوم والفنون ومرشد الناس إلى أسرار الفكر الإلهي، ورمز النشاط الإنساني والصناعة وإله التجارة والسياحة وهو أيضاً رسول الحب والوسيط بين الآلهة في قضايا الحب وهو المكلف في المساء بأن يقود الأرواح إلى مساكنها المظلمة، ... ثم نسب بعض الفلاسفة المسيحيين إذ ذاك بعض صفات الإله مر كور كما لخصناها إلى السيد المسيح"(١٢١) .

بعد كل ذلك هل يكون يوم الأربعاء يوم للمجانين ؟

إذاً لا يصح من الناحية الدينية أن يكون يوم الأربعاء يوماً للمجاذيب الحماصنة، إلا إذا نظرنا لهم بعين العطف كما ينظر الناس للمعتوهين وذوي العاهات والمجانيين، لينتزعوا حسنة من اللّه تعالى على ما قدموه من عطف. لكن الأمر ليس كذلك فما أورده التاريخ عن أهل حمص من ناحية، وطبيعة النكت السائدة اليوم من ناحية أخرى تدل على أن المجاذيب نعتٌ نفسي بقصد الانتقام والتشفي. أما ما تخبرنا إياه الليتورجيا فمختلف تماماً، إذ من خلالها نعلم أن أهل حمص كانوا يحضرون لأعياد الربيع القديمة يوم الأربعاء...

---

(١٢١) **دراسات فنية في الأدب العربي، د. عبد الكريم اليافي، ص٤١٣**

أعياد الربيع القديمة في حمص

لا يمكن عزل ما يشاع من وسمٍ للحمصيين بالجدبة وأن لهم يوم في الأسبوع يحتفلون فيه " بجدبدتهم" هو يوم الأربعاء "عيد المجانين " ، سواء كان ذلك بهدف التسلية أو الجد ، عن تاريخ المدينة بشكل عام والأعياد التي كانت تقام بها .

هذه الأعياد هي خميس الضايع "التائه"، خميس الشعنونة، خميس المجنونة، خميس القطط، خميس النبات، خميس الأموات، خميس المشايخ ويسمى أيضاً " خميس الأسرار، وخميس البيض".

كانت احتفالات أعياد الربيع القديمة تشمل فترة الاعتدال الربيعي موزعة على شهري آذار ونيسان، وربما شباط وآذار وإن كان هذا نادراً. " ويستخدم تاريخ الفصح المسيحي الأرثوذكسي كنقطة مرجعية لتحديدها"[١٢٢].

ونجد لهذه الأعياد استمراراً في الأعياد المسيحية ثم الإسلامية فآخر " خميس من السبعة يتطابق مع خميس الآلام السابق مباشرة لعيد الفصح. ويقع أول خميس، أي قبل ذلك بتسعة وأربعين يوماً، في الأسبوع الذي يبدأ بـ" اثنين الراهب"[١٢٣] (أي في الخميس الذي يسبق /اثنين الراهب/ في شباط وهو بداية الصوم الكبير لدى المسيحيين على التقويم الشرقي) [١٢٤] وهو خميس المشايخ. علماً أن الأحد الذي يسبق

أحد الفصح هو /أحد الشعانين/ ثم يليه خميس المشايخ ثم الجمعة العظيمة فسبت النور فعيد الفصح. و" كان رجال الدين الإسلامي، وبشكل خاص المتصوفون، على علاقة وثيقة بأعياد الربيع- هذه وبخاصة العيد الأخير"[١٢٥].

ويرى بعض الباحثين في تاريخ المدينة أن أعياد " الخمسانات" " كما تلفظها العامة" التايه، الشعنونة، والمجنونة، و القطط، ليس فيها مواسم، لوقوعها في أواخر

---

(١٢٢) أعياد الربيع القديمة في حمص، ص١٣

(١٢٣) مصدر سابق، ص١٣

(١٢٤) حمص دراسة وثائقية، ص٢٠٥

(١٢٥) أعياد الربيع القديمة في حمص، ص١٣

الشتاء بين شباط وآذار أما/خميس النبات والأموات أو الحلاوات والمشايخ فلها مواسم وطقوس للاحتفال بها"[126] .

لكن الباحث الفرنسي جان إيف جيلون، يفترض أن أعياد " الخمسانات " التي كانت سائدة في حمص حتى مطلع خمسينات القرن الماضي، كانت تعبيراً عن أعياد الربيع القديمة وامتداداً لها، وهو لا يهمل الأخمسة الأربعة الأولى التايه، الشعنونة، والمجنونة، التي توقف الاحتفال بها منذ زمن بعيد.

حيث يقول: " نظرياً يمكن ترتيب مسار الطقوس المختلفة لأعياد الربيع القديمة بموجب النظرية العامة لمرسيليا إلياده التي تدرس" الوقائع الدينية من الناحية الفينومنولوجية (الظاهراتية) والتاريخية"[127] كالتالي: انكفاء نحو العماء، تطهير وتضحية، معركة مظفرة ضد قوى الظلام، سطوع قوى النور، تحديد المصائر، الابتهاج بالحياة الجديدة "[128].

يتابع جيلون ومع احتمال أن نخطئ فيما يخص الأخمسة الثلاثة الأولى، إذ لا يمكن أن نؤكد بخصوصها أي شيء مثبت، يمكن توزيع أعياد الربيع في حمص إلى: طور مظلم (الأخمسة الثلاثة الأولى التايه، الشعنونة، والمجنونة)، وطور أكثر إشراقاً أو طور صاعد (الأخمسة الأربعة التالية القطط، خميس النبات والأموات والمشايخ).

وفق تقسيم أعياد الربيع السابقة يمكن تقسيم الأعياد المسيحية، التي يبدأ الاحتفال بها بين شهري شباط وآذار وتمارس فيها طقوس موت الإله وإعادة بعثه. فالمسيح بتجلياته المختلفة عبر العصور يمثل قوى التجديد (الجيل الجيد) التي تتصارع مع النظام القديم الذي لابد من اندثاره (يوم المجانين) بالتضحية بنفسه و"إقفار اللحظة التي تتلاشى فيها الحياة (المراثي) خميس الأموات. ويعتقد الباحث جيلون " أن الفترة المناسبة التي انبعثت فيها ممارسة الشعائر القديمة... كانت على الأغلب

---

(١٢٦) حمص دراسة وثائقية، ص٢٠١

(١٢٧) المقدس والدنيوي، مرسيا إلياده، ترجمة نهاد خياطة، ص٥

(١٢٨) أعياد الربيع القديمة في حمص، ص١٠٥

فترة ركود نسبي على المستوى الاجتماعي- السياسي: فلم تنشط في فترة الازدهار بداية العصر الوسيط بل في نهايته. وحتى في الفترة العثمانية أيضاً وتحديداً القرن الأخير منها."[١٢٩] أي أن هذه الاحتفالات مورست على مراحل متقطعة.

❖ ما يهمنا من هذه الأعياد التي قدمنا فكرة موجزة عنها هو الأعياد الأربعة الأولى وللأسف " فإننا سنقتصر على الفرضيات التي تتولد عن دراستها " فحتى " النصف الثاني من القرن التاسع عشر لم يكن قد بقي من هذه الأيام أي احتفال شعبي"[١٣٠]. وما سيقدم من تفسيرات حولها يعتمد على " النمطية العامة لأعياد التجدد ، وعلى المقارنة مع مجموعات الأعياد المماثلة التي لا تزال باقية في بعض القرى السورية كما يقول جيلون، وبه نستعين بهذه التفسيرات:

خميس الضايع:

يسمى أيضاً خميس التايه. وبعضهم يعتبرهما يومين متمايزين[١٣١] . ومن موعده، لا يمكن أن يكون يوم مرح، حيث ينتمي هذا اليوم إلى "**الوجه المظلم من فجر**" السنة الجديدة ويمكن أن يترجم اسمه بـ" **EJEUDIL*JAR** " (بالفرنسية) شرط أن نوضح أن كلمة" الضايع" تحيط، كمرادفها الفرنسي، بمجموعة من المعاني تتضمن معنى " الحائر، فاقد الرشد، المضطرب... "[١٣٢].

كما أن كلمة "التائه" يمكن أن تشير إلى الضياع الجغرافي كما تشير إلى الضياع العقلي. وقد يكون خميس الضايع هذا هو أيضاً خميس القلق والبلبلة.

خميس الشعنونة:

كلمة "شعنونة" تدل على ربة منزل مهملة وقذرة".وإذا ما توقفنا عند هذا الشرح، فإننا سنسلم بأن هذا اليوم واقع تحت رعاية كيان أنثوي غير محبب. إذ يمكن أن

---

(١٢٩) مصدر سابق، ص١٥٩

(١٣٠) مصدر سابق، ص١٥

(١٣١) مصدر سابق، ص١٤

(١٣٢) مصدر سابق،ص١٣٧

نقارب بين هذا الكيان من "العجوز"[١٣٣] ومن الغولات المعروفة جيداً في الفلكلور المتوسطي.

خميس المجنونة:

هل هذا الخميس هو" يوم المجانين" ؟ ونعني بذلك اليوم الذي ينقلب فيه النظام الاجتماعي تماما، مع احتمال اشتماله على بعض التصرفات الإباحية. فيوم المجانين من العناصر الأساسية، ويعتبر غيابه عن سيناريو تغير السنة أمراً غير طبيعي نوعاً ما. أضف إلى ذلك أن أيام المجانين أمر مثبت في تاريخ المشرق القديم[١٣٤] وكان لها وجود دون شك في العصر الوسيط. و لابد أنها تلاشت تدريجياً بفعل التشدد المتزايد في المواقف الاجتماعية، وإذا ما كان ليوم المجانين وجود سابق في حمص، فمن المتوقع أن لا نجد عنه في أيامنا هذه إلا أثراً مبهماً على شكل تسمية فقدت معناها[١٣٥].

---

(١٣٣) لقد وصف جان سيرفيه بشكل جيد في التراث البربري." عجوز يناير " (أي عجوز شهر كانون الثاني) هي غولة رهيبة تمارس أفعالها الضارة قرب حلول الانقلاب الشتوي. "... وحسب المناطق، يتأرجح موعد طقوس تغير الدورة بين الشتاء والربيع، ولكن ضمن إطار هذه الخلخلة الظاهرية، هناك عنصر لا يتغير: سيناريو الدراما الأسطورية التي أعطت اسمها" لأيام العجوز"... تقوم امرأة عجوز بممارسة نشاط ربيعي، كأن ترعى عجلها أو عنزتها مثلاً أو تمخض اللبن من أجل استخراج الزبدة وغالباً ما تزيد في خطورة موقفها بالتهكم على الشهر الجاري لأنه ليس بارد بالقدر الكافي لمنعها من ممارسة نشاطها قائلة:" لقد نجوت منك، نجوت منك، يا كانون الثاني مع عجلي". فتُعاقب على ذلك بعاصفة هوجاء أو عاصفة ثلجية أو فيضان، وهذه الأمور غالباً ما تكون قاضية عليها"... أعياد الربيع القديمة في حمص، هامش ص١٣٨ ... وفي كثير من المدن السورية تعرف الأيام الأخيرة من شباط " بأيام العجوز" حيث يتفق شباط مع آذار قائلاً: " آذار يا ابن عمي ثلاثة منك وأربعة مني تنخلي الشلال يغني".

(١٣٤) يقول جيلون لا بد أن الأكيتو(عيد ربيعي في بابل) كان يعرف طور الانكفاء هذا، والذي يتوافق مع فترة سيطرة تعامات التي تتصف بانقلاب الشروط الاجتماعية(إذ يصبح العبيد أسياداً). أنظر مرسيا إلياده، أسطورة العودة الأبدية، وقد أخذنا " يوم المجانين" أو "عيد المجانين" من العصر الوسيط الأوربي مع إعطائه قيمة عامة ونجهل ما إذا كانت قد استخدمت تسمية مماثلة في الشرق. أعياد الربيع القديمة في حمص هامش .ص١٤١

(١٣٥) مصدر سابق، ص١٠١

وهـذا بالفعل مـا نلمسـه فيمـا يخـص موضـوع بحثنـا ، فحمـص اسـتطاعت بفضـل عيـد المجـانيين ويـوم الأربعـاء أن تكـون بمثابـة ذاكـرة دينيـة يمكننـا مـن خلالهـا أن نستدل على التراث الروحي الذي تزخر به هذه المنطقة ، فيـوم الأربعـاء ويـوم المجـانيين ضـروري في الفكـر الـديني القـديم إذ منـه يتم انـدثار القـديم وحلـول النظـام الجديـد محله. وهكذا فإن روح حمص الخالدة تشكلت بأناة مـن خـلال اسـتمرارية الطقـوس السامية والبابليةً(١٣٦).

مكانة حمص الدينية

نعلـم الآن أن يـوم المجـانين كـان موجـود كإحـدى خُمسـانات الاحتفـال بأعيـاد الربيـع وكـان يشـتمل علـى تصـرفات الإباحيـة ، دعـت كـل مـن رآهـا مـن التجـار أو الرحالة أو المسافرين إلى اعتبارها سلوكيات شاذة فاعتقدوا أن في هذا الشعب لوثة.

وعليـه فعيـد المجـانين يجـب أن يكـون يـوم الخمـيس ولـيس الأربعـاء لأنـه في يـوم الأربعاء كان يتم التحضير لأعياد الخمسانات السابقة ومنها عيد المجانين.

طبعاً نغالي إذا قلنا أن هذه الأعياد كانـت حِكـراً علـى حمـص، لكـن مـا يميـز وجودها في حمص أن موسمها كان" موسـم إشـعاع إقليمـي لا ينكـر" إذ كـان الـزوار القادمون عديدون جداً " من اسـكندرون إلى صور ، ومـن حلـب إلى عمـان، وحتـى مـن القـدس ومـن القـاهرة"(١٣٧). فحمـص كانـت كعبـةً يحـج إليهـا النـاس مـن كـل حـدب وصوب.

يقـول الرحالـة والمـؤرخ وصـفي زكـريـا في وصـف الاحتفـال بخمـيس المشـايخ في حمص: يركب مشايخ الطرق الصوفية "الأكاديش، ويتظـاهرون وهـم عليهـا ، بالبلـه والاسترخاء ، وإسالة اللعاب في الأفواه ويتبعهم مريدوهم... وكـان هـؤلاء المشـايخ قبـلاً ، يأتون باسم الدين فيما يأتونه من حركـات الخبـال والسـخف ، أكـل النـار والزجـاج،

---

(١٣٦) إمبراطورات سوريات، مرجع سابق، ص١٩

(١٣٧) أعياد الربيع القديمة في حمص، ص٦٦

ضـرب السـفود والاتكـاء علـى السـيوف، والـدوس بأكاديشـهم علـى ظهـور الرجـال الممددين، وغير ذلك مما ينكره الدين ويمجه العقل السليم..."[138].

ويتـبين مـن كـلام الأسـتاذ نجـاة قصـاب حسـن في معـرض حديثـه عـن خمـيس المشايخ الـذي كـان يُقـام في بـرزة بدمشـق وهـو يصـف مشـاهدته الشخصـية لمـا كـان يجـري فيـه مـن طقـوس قـائلاً: "... فيـأتي الموكـب كمـا في **حمـص** تتقدمـه الأعـلام والرايات الصوفية وضاربو الدفوف..."[139].

روى لي رسـام الكاريكـاتير العـالمي الصـديق علـي فـرزات عـن والـده أن طقـوس الاحتفـال بعيـد المشـايخ لم تكـن تخلـو مـن روح الفكاهـة وكـان هنـاك لعبـة شـهيرة يشارك بها الحضـور تـدعى البوسـطجي، كـانوا ينتقـون لأداء دور البوسـطجي مـن لـه ذقـن طويلـة ويعلقـون علـى رقبتـه سـلة مـن القصـب بحيـث تلامـس لحيتـه أسـفل السـلة وكـان يدور على المشايخ المشاركين في الاحتفال ويطلب إليهم أن يضـعوا رسـائلهم في السلة، الطريف في هذه اللعبة أن آخر من يضع رسالة في هذه السـلة يقـوم برمـي ورقـة مشتعلة لحرق ذقنه وكان الحضور يضحكون مـن صـاحب اللحيـة وهـو يحـاول إنقـاذ لحيته المحروقة.

يعلـق فـرزات علـى هـذه اللعبـة قـائلا إن لهـذه اللعبـة مـدلولات مهمـة فهـي رسـالة للحاضرين بأن الدين ليس بتربية اللحى والأمور الظاهريـة، ويتـابع رغـم أن لهـذا العيـد طابع ديني إلا أن فيه انتقاد للتشدد الديني لا يخلو من روح الفكاهة.

يتبين أن حمص كانت مرجعاً دينياً وبشكل أدق مرجع طقوسي. واعتقد أن لهذه الخمسانات علاقة بعبادة إله الشمس الحمصي الذي عبده أهل حمص" هذه العبادة ستشرح لنا بين طيات حكايتها، لماذا اتسم موقف أهل حمص بالتناقض فيما يخص الشأن الديني ؟

---

(١٣٨) **جولة أثرية في بعض البلاد الشامية، صفحة ٣٥٤**

(١٣٩) **حديث دمشقي ١٨٨٤-١٩٨٣، نجاة قصاب حسن، ص٣٥١**

قادش (المدينة المقدسة)

على بعد خمسة كيلومترات إلى الغرب من منطقة القصير جنوب غرب حمص يقع تل النبي مندو الذي يرتفع في أعلى نقطة له لحدود ٣٠ م... هذا التل يحتض أطلال مدينة قادش...

قادش أو المدينة المقدسة واحدة من أهم ممالك المدن التي "يرجع بنائها إلى الشطر الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد وقد عاصرت مملكة قطنا الواقعة في تل المشرفة إلى الشمال من مدينة حمص حسب ما يقول الباحث نعيم الزهراوي"[٣]

هذه المدينة (المقدسة)أصبحت، بعد دخول الحثيين إلى سورية من الشمال حوالي ١٥٠٠ قبل الميلاد ، حاضرة دينية لهم.

سياسيا كانت هذه المدينة منطقة لتقاسم النفوذ على شمال سورية الذي كان تحت سيطرة الحثيين(وقبلهم الميتانيين) وجنوب سورية الذي كان تحت النفوذ المصري.

استراتيجيا في السهل الذي تطل عليه المدينة حصلت الحروب الشهيرة بين الحثيين والمصريين لبسط السيادة والنفوذ.

دينيا كانت قادش، عدا عن كونها مركزا دينيا للحثيين، بوابة لاحتكاك الحضارتين الحثية والمصرية ما جعل لها أثرا كبيرا في تلاقح الفكر الديني بينهما و"بخاصة تأثير عبادة الشمس المصرية عند الفرعون أخناتون في المعتقد الحثي" كما يقول الأديب الحمصي شاكر مطلق[٤].

(٣) جذور ريف حمص، نعيم الزهراوي ج٧ص٢٠٠- ٣٥٢

(٤) د. شاكر مطلق ندوة حمص الأثرية والتاريخية الأولى

إله الشمس الحمصي

المكانة التي شغلتها حمص في الشؤون الدينية تعززها ديانة الشمس التي حاول بسيانوس الملقب بإيلاكا بعل أحد أباطرة الأسرة الحمصية نشرها وحلت في وقت من الأوقات (٢٢٠-٢٢٢م) محل آلهة الأوليمب وكبيرهم جوبيتر.

كان بسيانوس "أحد أصغر كهنة معبد بعل في حمص"(١٤٠)، صاحب المحاولة الجريئة الثانية في التاريخ لنشر ديانة شمسية شمولية بعد الآتونية المحاولة الأولى التي قام بها الفرعون أمنحوتب الرابع (أخناتون) الذي حكم مصر (١٣٦٩- ١٣٥٣قبل الميلاد)(١٤١). وقد أطلق الرومان على بسيانوس اسم إلهه "إيلاجابال" أو"إيلاكا بعل".

كانت جوليا دومنة " مؤسسة السلالة السورية" التي حكمت روما نهاية القرن الثاني الميلادي، ابنة " بسيانوس" الكاهن الأعلى لمعبد الشمس في مدينة حمص، وهو سليل الكهنة- الملوك الوارثين الذين حكموا المدينة في ماضيات الأيام، ولم يبقى لهم إلا السلطة الروحية الموروثة لأن الفتح الروماني جردهم من السلطة الزمنية(١٤٢). وقد وصفت بالجمال والقوة الفكرية والمقدرة السياسية والأدبية إذ كان صالونها يضم كبار رجال العلم والأدب في ذلك العصر ومنهم بابنيان الحمصي أول المحامين الذين وجدوا وسيوجدون كما وصفه أحد أكبر شارحي القانون وجالينوس

---

(١٤٠) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول، ص٣٤١

(١٤١) فراس سواح، مرجع سابق ص ٩٧- ٩٣

(١٤٢) إمبراطورات سوريات، مصدر سابق، ص٣١، لكن د. فيليب حتي يقول في تاريخ سورية أن حمص احتفظت بحكامها الوطنيين من الملوك الكهنة خلال فترة الحكم الروماني ... وانضمت طبقة النبلاء في حمص وكذلك تدمر ودمشق إلى طبقة النبلاء الإمبراطورية لفترة من الزمن وساهمت بالتالي في إدارة الإمبراطورية حتى قبل أن يصل اثنان من أعضائها إلى العرش الإمبراطوري كان مؤسس الأسرة الحمصية رجلا حُرّف اسمه باللاتينية فأصبح سامبسيرجرامس"يعني بالآرامية ليقوي إله الشمس" وقد جرد الإمبراطور دوميتان(٨١-٩٦م) ذريته من العرش...(مرجع سابق ص٣٤٠)

الطبيب المشهور[١٤٣] وغيرهم. هذه السيدة- معنى دومنة-" شجعت خطط زوجها القائد الروماني سبتموس سيفيروس الإفريقي للوصول لعرش روما"، ونجحا في ذلك.

ولدى انتقال جوليا إلى روما اصطحبت معها أختها الكبرى جوليا ميسا جدة بسيانوس "إيلاجابال" ابن ابنتها جوليا ممايا. نشطت الأميرات السوريات في الشؤون السياسية والدينية، "يدغدغ خيالهن حلم كبير بالقضاء على الفروق الدينية في الإمبراطورية الرومانية نحو نوع من التوحيد مؤسس على عقيدة الشمس الحمصية وإلهها الأوحد". وتجلى ذلك في سيرة جوليا دومنة التي تعكس "معتقدها ذي الطابع الإنساني الشمولي"، فمن أعمالها أنها اتخذت مرضعة ومربية لإبنها كركلا من الجماعات المسيحية التي كانت منبوذة من قبل المجتمع الروماني آنذاك، كما استعانت بعدد من هؤلاء المسيحيين رغم اعتراضات الكثيرين من حولها. في ذلك الوقت كان المسيحيين يجاهرون بعدائهم وازدرائهم لكل العبادات الرومانية منها والوافدة، وقد وجدت جوليا كل تعصب وتحجر في المعتقد، الأمر الذي صرفها عن المسيحية بعد أن أنفقت وقتاً في دراسة أفكارها وتعاليمها[١٤٤]. وهكذا كان يفعل أهل حمص المتمرسين بالشؤون الدينية مع كل دين جديد يأتي إليهم.

ويروى عن دومنا روحها المرحة، وفي مجلسها كانت يتم تداول النكات الساخرة والنادرة الناعمة، يقول المؤرخ الحمصي فيصل شيخاني ذات مرة طلبت الأمبراطورة جوليا من المفكر الروماني "أبنيان" العامل لديها في البلاط ويعتقد أنه سوري الأصل أن يروي لضيوفها ماحدث بينه وبين موظف الأمن عند عبوره نهر الفرات.

فقال أبنيان: أردت أن أعبر نهر الفرات فسألني موظف الأمن ماذا تحمل معك .. ولما كنت لاأحمل شيئا قلت مازحاً: أحمل الصدق والوفاء والعدل وهذه الألفاظ في

(١٤٣) تاريخ سورية مرجع سابق، ص٣٧٩

(١٤٤) فراس سواح، مرجع سابق، ص٩٨

اللاتينية تنتهي بمقطع مؤنث فقال لي الموظف في استعجال جهز ثلاثة جوازات سفر للفتيات الثلاث وأهلاً بك[٥] .

طقوس العبادة

عبادة هذا الإله كان يتخللها الاحتفال بالقداس أمام الصنم المجلبب بالمجوهرات و طقوس عري بإثارة الحماسة حتى الهذيان في نفوس جمهور يمثل زواج الشمس الإلهي بزوجاته من بنات البشر. وكانت الرقى والتعاويذ والموسيقى والرقص على أنغام المزامير و الطبلات، والتكرار المستمر لمقاطع ذات معان سرية وحركات طقسية يستمر إيقاعها ويصخب ويتسارع إلى حد الهذيان كان كل ذلك يثير نشوة الجماهير حتى الجنون فتنتهي عبادتها الطقسية هذه بممارسة عملية الزواج[١٤٥].

كان إيلاجابال - الذي عرف بشدة اعتنائه بالبهارج الكهنوتية – لذلك شبهه الناس بالإله ديونيسيوس- وأمه جوليا ممايا وجدتّه ميسا ابنة كاهن إله الشمس " بسيانوس" " يمارسون داخل المعبد المقدس" طقوساً سرية" كإنشاد الأغاني السورية وتقديم الصبيان قرباناً، كما شاع على ألسنة الناس في حينه، وممارسات أخرى كانت في نظر الرومان شاذة بقدر ما كانت مألوفة في موطن القيصر"[١٤٦] حمص.

وفي الاحتفالات الرسمية كان إيلاجابال يقوم بكل مراسيم العبادة بصفته كاهن الإله أمام كبار مجلس الشيوخ وطبقة الفرسان، ما أثار استنكارهم. وقد استمر "إيلاجابال" القيصر في سلوكه الماجن بلا حدود، الذي أضيف إليه مجون مقربيه ورفاق حفلاته. وارتقى كل من الراقصين والممثلين وقواد العربات والحلاقين أعلى المنازل لمجرد أنهم أثبتوا جدارتهم في حفلات البلاط الماجنة"[١٤٧]. لكن سعي إيلاجابال فشل، وتخلى عنه في النهاية كل معين حتى جدته ميسا، وفي إحدى الليالي من آذار٢٢٢م استشهد في سبيل معتقداته على يد الجنود مع أمه ممايا وألقيت جثتهما في نهر التيبر.

---

(٥) النكتة الحمصية من جوليا دومنا إلى يومنا، تقرير في وكالة سانا ٢٠٠٨/٠٦/١٥

(١٤٥) إمبراطورات سوريات، مرجع سابق، ص٣٢

(١٤٦) إله الشمس الحمصي، فرانتس التهايم، ترجمة: إيرينا داود، دار المنارة، ص٦١

(١٤٧) إله الشمس الحمصي، ص٦٥

مارس الناس تلك المظاهر بشكل واسع في مدينة حمص، "ويبدو أن هذا الإله كان في الوقت نفسه محل تقديس الكثيرين من خارج المدينة، لأن معبده كان مهوى أفئدة الحجاج من كل حدب وصوب، يؤمونه لتقديم فروض الاحترام للحجر الأسود[١٤٨] الشهير الذي كان رمز الإله الأوحد"[١٤٩] وكما أثار سلوك الملك الشاذ استغراب وسخط الرومان لابد أنه أثار استغراب كل من مرّ بحمص.

في ختام الحديث عن إله الشمس الحمصي نذكر هذه القصة. عندما اعتلى "إيلاجابال" عرش روما، جاء من أراد إقامة نصب يكرمه وينقش عليه نعوت الإمبراطور وألقابه الحربية، على سنة السابقين له، نهاه قائلاً: لا أحتاج إلى أن أذكر بألقاب الحرب وسفك الدماء، يكفي أن تكتبوا بأني رجل يتقي الله"[١٥٠]. فأنى لمدينة كحمص أن توصف بالضلال كما وصفها ياقوت الحموي. أو الحمق كما وصفها ابن الجوزي.

---

(١٤٨) الحجر الأسود من بين المعبودات الوثنية حتى وبعد ظهور الأديان السامية، وهو من الحجارة النيزكية التي تخلفها الشهب وقد اعتقد الأقدمون أنها نازلة من السماء، وقد اشتهر في الشرق ثلاث من الأحجار السوداء وهم الحجر الأسود عند الأنباط: عبد بشكل حجر أسود وضع في مكة، وجد مقامه في خربة التنور جنوب شرق البحر الميت ويرجح أنه بني في القرن الأول ق.م، والحجر الأسود في مكة: حجر نيزكي موضوع في الجدار الجنوبي الشرقي للكعبة في مكة، يقبله الحجاج في موسم الحج، الحجر الأسود في حمص وهو حجر نيزكي مقدس يمثل بعل حمص إله الشمس الذي عبدوه، أصبح معبد الحجر الأسود كنيسة فيما بعد وحولت إلى جامع في العهد الإسلامي، وهو الجامع الكبير بعد ثورة حمص ضد مظالم العباسيين عام ٨٥٥م(الميثولوجيا السورية- أساطير آرام، د. وديع بشور، مؤسسة الفكر للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى، تشرين الثاني ١٩٨١، ص١٩٢)، يذهب البعض إلى أن معبد حجر حمص أقيم مكانه مسجد يعرف" جامع أبي لبادة وقبل المسجد كان كنيسة، ويرى البعض الآخر أن المعبد يقوم فوق قلعة حمص نفسها. والاسم السامي للحجر الأسود هو "لبيتيل BETYLE" ويعني بيت الإله (بيت إيل) ويعني صنماً أو نصباً من حجر يسكنه الإله ويُرمز له".

(١٤٩) دين الإنسان، مرجع سابق، ص٩٨

(١٥٠) فراس سواح، مرجع سابق، ص٩٩

سمعان المتباله لأجل المسيح[١٥١]

لم تدخل النصرانية إلى حمص، وتتغلب على الوثنية التي كانت عريقة بين أهلها، إلا في القرن الثالث الميلادي وما بعده، على يد القديس (سيلوانس) الذي عد أول أساقفها[١٥٢].

وهاهنا قصة تبرهن على مكانة حمص الدينية، تثبت ما افترضناه سابقاً من أن "الحمق" أو"التباله"، كان طريقة صوفية يستخدمها الزهاد و الناسكين ليتقربوا إلى الله ولكن هذه المرة في الديانة المسيحية وليست الوثنية.

والراهب المتنسك سمعان الذي نحن بصدده، كان منهم. فقد اتبع هذا الراهب طريقة غريبة في العبادة اعتمدت على التظاهر بالجنون والبلاهة وكانت المدينة التي اختارها لذلك هي مدينة حمص. أما لماذا فعل ذلك؟ فإن سيرة حياته تقدم لنا الإجابة، سيما أن لهذا الراهب فلسفة خاصة "بالتباله".

ولد سمعان في مدينة الرها، من أعمال سوريا الشمالية، في أوائل القرن السادس للمسيح، وكان أبواه من ذوي المكانة العالية والغنى الوافر. وقد عُنيا بتثقيف ولدهما على الأخلاق العالية وعلماه العلوم العصرية، " فأضحى من الشباب الذين يشار إليهم بالبنان. ولما بدأ يستقل بحياته، ذهب مع قافلة من أبناء وطنه، يريد زيارة الأماكن المقدسة وحضور عيد رفع الصليب في أورشليم. ورافقه برحلته صديق له يدعى يوحنا. ثم قصدا البراري الأردنية، حيث كانت الحياة الرهبانية زاهرة فيها، وزارا أديرة عديدة، ولما عزما على خدمة الله طرقا باب دير القديس جراسمس بقرب الأردن، وخلال إقامتهما فيه كانا مثالاً حياً للطاعة، والتواضع، والتجرد، وإماتة الحواس، وكثرة الصيام والمواظبة على التأمل والصلاة. بعد ذلك تركا الدير برضى مرشدهما و رئيسهما، وعاشا عيشة النساك المتوحدين في جوار البحر الميت، وكانا يقتاتان على الحشائش التي تنبت في تلك الأراضي الكبريتية، ويقضيان

---

(١٥١) القصة كما وردت في كتاب السنكسار: سير القديسين - المطران ميخائيل عساف-ج٢- يوم ٢١تموز.

(١٥٢) جولة أثرية، مرجع سابق ٣١٩

الأيام ومعظم الليالي يتعبدان، وظلا على هذه الحال طيلة تسع وعشرين سنة، إلى أن "قضت الحكمة الإلهية بأن يفترقا"، فظل يوحنا في القفار متعبداً إلى أن مات. وعاد سمعان إلى" ضوضاء العالم وجلبة المدن الصاخبة" فاختار مدينة حمص" الجميلة الكبيرة، الكثيرة الخيرات والشرور والبركات معاً" ليقيم بها.

فلسفة سمعان

حماية للإرث الذي حصله، ولأنه عرف مسبقاً كيف سيتلقى الناس إنساناً اكتمل في" القداسة والعلوم الروحية فوق ما كان عليه من الثقافة العالمية"، خاف سمعان على ضياع ما كان قد اكتسبه بشق النفس في حياة القفر من فضيلة التواضع، فأراد أن لا يذهب ذلك الكنز الروحي هباءً منثوراً أمام إكرام الناس له وإعجابهم بعبادته وصيامه وسعة معارفه. فتظاهر بالبله، وأخذ يأتي أمور غريبة مضحكة جعلت الناس تشفق عليه، وترثي لضعف عقله، وتنسب ما تراه فيه من طرق العبادة إلى نقص في مداركه. فأخذ يطوف في الأزقة ويرتاد الشوارع، وهو يركض ويرقص ويصيح ويقهقه، حتى ثبت لدى الجميع أن هذا الراهب شارد العقل مأخوذ بخيالات غريبة، لكنه كان عندما يختلي بنفسه يقضي الليالي ساجداً متعبداً زاهداً، "فشرفه الله بصنع العجائب والنبوءة" لدرجة أنه تنبأ بزلزال سنة٥٥٠م... وتنبأ أيضاً بالطاعون الذي فتك بمدينة حمص...

اعتاد الناس حركات هذا"الأبله"، فكانوا يعتقدون أن " ما يأتيه من معجزات إنما كانت تحدث بطريق الاتفاق، فالله كان يمنح المؤمنين بعض النعم بواسطة ذلك الأبله، وجنون سمعان المستعذب الخفيف الظل كان يشفع فيه لدى العلي ويجعله صاحب كرامة لديه".

" عاش هذا البار رسولاً كريماً محباً خدوماً، معدوداً بين الناس أبله، وذلك كله لأجل المسيح، ليكسر عنفوان الكبرياء ويبيد في قلبه كل عاطفة تسعى وراء الشهرة والمجد الباطل... فما يمنحه الناس من المجد لهو حقير ذليل زائل مثلهم، أما المجد الذي يأتي من عند الله فهو المجد الحقيقي"

وهكذا عُرف سمعان في مدينة حمص "بالرجل الأبله"، ولم يكن أحد عالماً بأمره سوى يوحنا شماس كنيسة حمص الذي استحلفه أن لا يبوح بشيء لأحد ما دام هو على قيد الحياة. وبعد وفاة هذا الراهب أعلن يوحنا حقيقة" تلك القداسة المتسترة تحت برقع البله والجنون، فآتى الناس من كل حدب وصوب إلى كوخه للتبرك من رفات ذلك "القديس المجيد".

ثم" توسع انتشار هذه العبادة إلى أوربا. وفي روسيا وجد مجموعة من الناسكين أطلقوا على أنفسهم اسم المجانين من أجل المسيح وبقيت لما قبل الثورة الروسية بقليل... ألم يكن الحمصيون أول من اقتدى بذلك الراهب!، إذ لابد أنهم كانوا أول من مارس تلك الطريقة في العبادة، ثم نشروها في العالم"[153].

---

(١٥٣) محاضرة بعنوان حمص، ويوم الأربعاء، ألقاها الأستاذ نهاد سمعان، في المركز الثقافي بحمص تاريخ ٢٠٠٢/٢/٦

حمص"كعبة" اللهو

تميزت حمص عبر تاريخها بالكثير من التناقض ليس فقط على صعيد المعتقد الذي دانوا به إنما على صعيد الشخصيات التي عاشت بها فقد سكنها النساك والمتصوفة، ومنها خرج حقوقيون كبار أمثال بابنيان، كما سكنها أبقراط أبو الطب "وكان رجلاً إلهياً يداوي المرضى مجاناً"[(١٥٤)] وفيها عاش الشاعر ديك الجن الحمصي أستاذ أبو تمام...إلخ، كل ذلك يبقى ضمن إطار الممكن أما أن تكون حمص كعبة للهو والمجون، فهذا أمر جديد يحتاج إلى التدقيق فيه، سيما أن لهذا الأمر أساس يدعمه الماضي القريب جداً، فمن المشاهد المألوفة في مدينة حمص منذ زمن بعيد وحتى أيامنا هذه " مشهد السكارى العائدين من منتزه الميماس بعد منتصف الليل، وهم يغنون ويطربون حتى دخولهم المدينة "[(١٥٥)]. فالخمرة ساهمت بمساعدة طبيعة حمص الخلابة، في ذلك الوقت طبعاً، على تليين طباع أهل المدينة وجعلتهم " أخف الناس أرواحا وأطبعهم نوادر وأحملهم للمزاح " مهما كان غليظاً. وهذا ما تخبرنا به كتب التاريخ والأدب. ففي الفصل الثاني من كتاب المستطرف من كل فن مستظرف يصف الأبشيهي الأنهار والينابيع، يقول: "أن نهر العاصي يقوم بأرض حماة وقيل بحمص وهو نهر معروف، وفيه يقول بعضهم:

مدينة حمص كعبة القصف[(١٥٦)]أصبحت يطوف بها الداني ويسعى لها القاصي

بها روضة من حسنها سندسية تعلق في أكناف أذيالها العاصي"[(١٥٧)]

و يروي ياقوت الحموي في معجمه حادثة عن أبي نواس أشهر ماجني العصر العباسي أنه لما انصرف من مصر اجتاز بحمص " فرأى كثرة خماريها وشهرة

---

(١٥٤) تاريخ مختصر الدول، بابن العبري، المتوفى سنة ٦٨٥هـ، ص٥٠

(١٥٥) ديوان ديك الجن الحمصي، جمع وتحقيق مظهر الحجي، وزارة الثقافة، ص٨

(١٥٦) القصف: بحسب لسان العرب لابن منظور، هو اللهو واللعب، وهو الجلبة والإعلان باللهو.

(١٥٧) الأبشيهي(٧٩٠-٨٥٠ هـ)، المستطرف من كل فن مستظرف، دار إحياء التراث، ج٢، ص١٥٧

الشراب بها وترك كتمان الشاربين لها شربها فأعجبه ذلك فأقام بها مدة مغتبقا ومصطبحا، وكان بها خمار يهودي يقال له لاوى فقال لأبي نواس: كيف رأيت مدينتنا هذه وحالنا فيها، فقال له: حدثنا جماعة من رواتنا أن هذه هي الأرض المقدسة التي كتبها الله تعالى لبني إسرائيل، فقال له الخمار: أيما أفضل عندك هذه الأرض أم قطربل[١٥٨] فقال لولا صفاء شراب قطربل و ركوبها كاهل دجلة ما كانت إلا بمنزلة حانة من حاناتها[١٥٩]..

ويصف الطبيب ميخائيل مشاقة الدمشقي (١٨٨٨م)، الذي رافق إبراهيم باشا في فتوحاته للبلاد السورية، حال مدينة حمص في تلك الفترة فيقول أن:"أهالي المدينة نحو عشرين ألف نسمة ثلثهم نصارى والباقي

من المسلمين. ولم أرَ فيها نصرانياً غير مولع بالسكر"[١٦٠].

مجربي الخمر يعرفون تماماً أن حالة الانتشاء الروحي التي ترافق تناول الخمر تجعل أغلب شاربيها يقومون بحركات غير مألوفة، ويتكلمون بطريقة لا ترابط فيها، فكيف سيكون منظر مدينة فيها سبعة آلاف "سكير"؟!!! استنادا لإحصاء الدمشقي.

ما دفعنا لإثارة هذه النقطة، هو أن تصرفات" السكران" قريبة من تصرفات "المجذوب الصوفي". الغارق في نشوة روحية خلال انعتاقه عن العالم المادي بعد أن يحتسي" الخمرة الصوفية".

فالخمرة وما ترمز، إليه من نشوة وتحليق روحي- بدلالة اسمها"مشروبات روحية"-، كانت عادة مرافقة للعبادات الوثنية، أي كان "المؤمنون" يستعينون بها لتعميق حالة النشوة، ثم أصبحت رمزاً للتوحد مع الآخر في طقس"أكل جسد الإله ودمه" التي يرمز لها (الخبز والخمر) أو ما يسمى في المسيحية بطقس"المناولة".

---

(١٥٨) و قطربل كما يعرفها ياقوت: "كلمة أعجمية وهي اسم قرية بين بغداد وعكبرا ينسب إليها الخمر وما زالت متنزها للبطالين وحانة للخمارين وقد أكثر الشعراء من ذكرها"

(١٥٩) معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج٤، ص٤٢٢

(١٦٠) تاريخ حمص لمنير أسعد، ص٣٨٦

وفيما بعد ولا سيما في الإسلام تم فصل الخمرة بشكل تدريجي عن كونها عنصر مشارك في طقس العبادة وتجلى ذلك في الآية (٤٣) من سورة النساء" ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون" وفي هذه الآية تأكيد على إلغاء حالة "الهذيان والنشوة" بالاستعانة بالمشروبات أو المخدرات التي رافقت العبادات القديمة ولكن هذه النشوة وجدت لها طريقاً جديداً من خلال التصوف المسيحي ومن ثم الإسلامي. وهكذا انفصلت الخمرة عن الطقس العبادي، وأصبح كل منهما يحقق النشوة والتحليق الروحي و الانعتاق عن العالم المحيط بطريقته الخاصة.

بالإضافة لما سبق فقد انتشر في حمص سابقاً الكثير من المغارات التي يلتقي فيها الحشاشون، ويذكر عجائز حمص ما كان يجري في هذه المغارات من تبادل الطُرف والنوادر لإثارة الضحك الذي يزيد تدخين"الحشيشة"من شدته. وباعتقادي ربما كان أحد عوامل إطلاق صفة "الحمق" و بشكل أدق "الجدبة" على أهل حمص كثرة انتشار الخمر وتدخين الحشيشة، الأمر الذي كان له دوراً مهماً في تحول النكتة من سلاح لصراع العصبيات العربية إلى طبيعتها الهزلية – التسلوية على يد هؤلاء السكرجية، والحشاشين.

مدخل إلى عالم الضحك

" طوبى لأصحاب النكتة والظرف والروح المرحة فإن لهم ملكوت الصالونات"

من الملح الطريفة التي رواها البعض زمن إبراهيم باشا، التي تبرز نباهة أحد أبناء حمص، أنه لما أراد بناء الثكنة العسكرية (هدمت في أربعينيات القرن الماضي) اشترط على الملتزمين أن يتكفلوا بثباتها على عواصف الدهر ألف سنة، ولم يجسر على ذلك إلا رجل واحد اسمه بطرس خزام، فلامه أصدقائه على هذه المغامرة ضحك بطرس منهم قائلاً: إن وجدني الباشا أو وجد نفسه بعد ألف سنة على قيد الحياة فليفعل بي ما يشاء[١٦١].

لم تعمل نزاعات العصبيات العربية إلى إلحاق الأذية الجسدية في الخصم وإنما عملت على إلحاق الأذية"المعنوية" به ولنا في قصص الهجائيين العرب خير مثال على ذلك ألم ينتحر الراعي النميري لهجاء جرير له. وعليه فالنكتة الحمصية التي ترعرعت في كنف ما يمكن تسميته الهجاء القصصي ليست إلا سلاح نفسي حديث موجه للخصم، ميدانها "الذات" البشرية.

قالوا "إن نزول ماجن ببلدة أجدى على الصحة العامة من عشرين حملاً من الأدوية "[١٦٢]. كان الإنسان البدائي يفكر بغريزته ويطور عقله، أما اليوم فهو يفكر بعقله لإرواء غريزته.

فالقرن الحالي يؤذن " بعصر من الكآبة " تماماً كما كان القرن العشرين عصر" التوتر والقلق "، " وتبين المعطيات الدولية أن الاكتئاب سوف يكون على ما يبدو وباء عصرياً، ينتشر جنباً إلى جنب في كل أنحاء العالم مع انتشار أساليب الحياة الحديثة... وباعثاً على الشلل والغم والحسرة، وفقدان الأمل"[١٦٣]. وعليه يبدو

---

(١٦١) تاريخ حمص، مصدر سابق، ص٣٨٦، ٣٧٦

(١٦٢) موسوعة الأدب الضاحك، حسين مروّة،ج١ص٢٠

(١٦٣) الذكاء العاطفي، دانييل جولمان، ترجمة ليلى الجبالي، ص٣٣١

أن الضـحك سيوضـع متـاحف التـاريخ في مرحلـة ليسـت بعيـدة. إذ أن معـدل الكآبـة يزداد طرداً مع "عصرنة" الحياة .

يقول أحمد أمين:" لـو انصـف النـاس لاسـتغنوا عـن ثلاثـة أربـاع مـا في الصـيدليات بالضحك... لأن الضحكة علاج الطبيعة والأسبرين وما إليه علاج الإنسان. والطبيعة أمهـر علاجـاً وأصـدق نظـراً وأكثـر حنكـة " ... فالضـحك بلسـم الهمـوم ومـرهم الأحزان"[(١٦٤)].

فَهِـمَ الحمصـي بمرونـة شخصـيته، وشموليـة طبعـه، معنـى الضـحك، فسـخّر النكتة -أفضل طرق الضحك- لخدمته، والحمصي لم يقتصر على إطلاق النكـات على نفسه، وإنما يحاول أن ينسب العديد من النكات الطريفة إليه.

---

(١٦٤) مصدر سابق، ص١٩

فـــي منشــأ الضحــك

" قل لي مما تضحك أقول لك من أنت "

مارسيل بانيول

نستقبل الحياة بصرخة، وكأننا نعرف ما ينتظرنا، إنها " صدمة الولادة "(١٦٥) وخروجنا من جو الأمان، والهدوء والاطمئنان، إلى حياة الضجيج والتلوث، والبحث عن " الفردوس المفقود".

منذ اللحظة الأولى لولادة الإنسان يصرخ خشية من العزلة والانفصال بعد حياة التوحد مع أمه لذلك يستخدم العديد من الأسلحة في معركة "الصراع من أجل البقاء" على الصعيد النفسي أهمها" البكاء، الضحك، الابتسام " لضعف مَلَكَاتِهِ التعبيرية الأخرى، وكأنه يوصل رسالة لأقرانه والمحيطين به تقول " لا تتركوني أنا متفاعل معكم" أو" لست متفاعلاً معكم".

ولمعرفة هذه الأسلحة، لابد في البداية من إعطاء لمحة عامة عنها، وتفكيك عناصرها وإظهار التداخل فيما بينها.

نعرف أن حديثي الولادة يصرخون لكنهم لا يبكون فقد "أظهرت دراسات شملت ١٢٥٠ وليداً أن ١٣٪ منهم قادرون على البكاء خلال الخمسة أيام الأولى من الولادة والغالبية بعد ثلاثة أسابيع، وبعضهم لم يبك إلا بعد الولادة بأربع أو خمسة أشهر". " إن الصراخ على ما يبدو هو رد فعل سابق الظهور على البكاء".(١٦٦)

---

(١٦٥) قال بهذا المصطلح المحلل النفسي أوتو رانك(١٨٨٤- ١٩٣٣)، من رواد مدرسة التحليل النفسي كان من المنشقين عن فرويد في حياته معتبراً أن العُصاب بكل أشكاله المتنوعة جداً، ليس سوى تكرار (إعادة إنتاج) لصدمة الولادة (انفصال الطفل عن أمه التي هي موضوع التثبيت البدئي الذي يؤلف الحادث البيوسيكولوجي للاشعورنا) و مفعولاتها. عن كتاب مدارس التحليل النفسي، ترجمة وجيه أسعد، إصدارات وزارة الثقافة

(١٦٦) ديزموند موريس، الطفل الرضيع، ترجمة محمد دنيا

فمن الناحية النفسية يرى الباحث الفرنسي ديزموند موريس أن " الرضيع يسعى إلى إسالة الدموع على خديه ليثير لدى أمه رغبة لا تقاوم في تجفيف دموعه ومسح خديه، ومن شأن هذا التفاعل أن يجعل الأم قريبة منه وعلى تماس وثيق به" أما بالنسبة للكبار، فإن البكاء يفيد بدموعه الغزيرة في كونه وسيلة لإفراغ العناصر الكيميائية التي تسبب الانفعال الشديد، كي يعيد التوازن الكيميائي للجسم إلى حالته المعتادة "(١٦٧).

ويبدو أن فعل الضحك تطور من فعل البكاء، إذ يبدأ الطفل بالضحك عندما " يستطيع تمييز أمه"(١٦٨) وذلك بين الشهر الرابع والخامس، وبالتالي يصبح الضحك لغة تجمع الأم بطفلها ويغدو رسالة اطمئنان من قبل الطفل ورضى عما يجري حوله.

ثم يصبح الضحك مع صنوه البكاء لغة التفاعل الاجتماعي لأن وسائل التعبير الكلامية والذهنية لا تكون قد اكتملت عند الطفل بعد، فمازالت الأمور خاضعة " لمبدأ اللذة "(١٦٩) ومن المؤشرات الهامة للتعبير عن هذا المبدأ هو **الضحك**، أما "عدم اللذة " فمن المؤشرات الهامة للتعبير عنه **البكاء**، ويكون **الابتسام** تعبيراً عن " مبدأ الواقع "(١٧٠) وكون التعبيرات الفيزيولوجية لانطلاق الضحك والبكاء متداخلة في

---

(١٦٧) المصدر السابق، ص٦٢

(١٦٨) ديزموند موريس، القرد العاري، ترجمة ميشيل أزرق، ص٩٩

(١٦٩) يقول فرويد:(من المسلم به في نظريات التحليل النفسي أن سير العمليات النفسية ينتظم انتظاماً آلياً وفق "مبدأ اللذة"، ونحن نذهب في عبارة أخرى، إلى أن ما تبدأ منه أية عملية نفسية، مهما اختلفت الظروف، إنما هي حال من التوتر الكريه المؤلم، ومن ثم تتخذ لنفسها تلك العملية سبيلاً يؤدي آخر الأمر إلى نقص هذا التوتر والتخفيف منه، أي إلى تجنب" عدم اللذة" والحصول على اللذة") (ما فوق مبدأ اللذة، سيجموند فرويد، دار المعارف بمصر، ص ٢٣)

(١٧٠) مبدأ الواقع قال به فرويد، وهو ميل الجهاز النفسي إلى تقيد الإشباع المباشر للغرائز البدائية، ولكنه "يهدف للحصول على اللذة أخر الأمر، غير أنه يدفع بالمرء إلى تأجيل الإشباع، وإلى التخلي عن كثير من الأمور التي تتيح ذلك أو تؤدي إليه، بل ويدفع به إلى تقبل عدم اللذة قبولاً مؤقتاً خلال السير في ذلك الطريق الملتوي الطويل الذي ينتهي به إلى الظفر باللذة "(ما فوق مبدأ اللذة، مصدر سابق، ص ٢٨)

الابتسامة، يصعب على الإنسان أثناء الصراع بين مبدأي اللذة والألم تحديد الاتجاه الذي يجب أن يسلكه لأن مبدأ الواقع (وتعبيره الابتسام) يفرض سلوكية معينة أو "يؤجل إشباع اللذة" وتجنب عدم اللذة (الألم).

لذلك نحن نبادر في المواقف الاجتماعية الجديدة ضمن "مبدأ الواقع " بابتسامة، فعند تعرفنا على شخص نبادره بابتسامة وشخص لا نحبه مفروض علينا السلام عليه نرمي له ابتسامة كتحية غامضة المعاني. فهي إذاً تعبير عن مبدأ الواقع، لأن الواقع فيه ظروف مجتمعية وقيود أخلاقية مطلوب منا أن نراعيها. " فإن حيينا شخصاً بابتسامة فإنه يعلم أننا مترددون نحوه ولكن إن حييناه بضحكة فله الحق عندئذ أن يشك في سلوكنا تجاهه"(١٧١)، فـ"البسمة دهليز الصلات الإنسانية"(١٧٢)، وكما أن الواقع متلون كذلك تلونت الابتسامة بألوانه فهناك الابتسامة الصفراء: الخالية من المعنى، وابتسامة المسايرة: تشعر الآخر بأنك مطمئن له مع أن موقفك قد يكون العكس، ابتسامة الفرح، ابتسامة الألم، ابتسامة الإغراء: يستخدمها رجل أو امرأة طلباً لعلاقة عاطفية ما.

من جانب آخر يتداخل الضحك بالبكاء في بعض المواقف، على حد قول المثل" من وهج القفص غنى ورقص" أو شر البلية ما يضحك" وقد يضحك الإنسان حتى تسيل دموعه، أليس" ذروة البكاء والضحك دمعة".

ولكن ما علاقة ذلك كله بالنكتة ؟

يقول بوعلي ياسين:" عندما يسخر شعبٌ ما من شعب آخر أو يتهكم عليه، فهو يفعل ذلك ليس بالضرورة لعداوة بينهما، ولا بالضرورة حتى لتنافسهما على مصلحة ما، بل على الأرجح تأكيداً للذات وإثباتاً للوجود. هناك إذن ثلاث مستويات من دواعي الضحك على الجماعات الأخرى: الداعي الأول هو العداوة، والثاني هو التنافس، الداعي الثالث والأعم موجود في الذات (الـ"نحن") أكثر مما هو موجود في

---

(١٧١) القرد العاري، مصدر سابق، ص١٠٤

(١٧٢) د. عادل العوا، أخلاق التهكم، ص١١

الغير..."[١٧٣]. ويرى برغسون أن للضحك عموماً مهمة اجتماعية تقوم على القصاص والتقويم، فهو نوع من التأديب، لأننا حين نضحك من المقصر أو الشاذ أو الغبي، إنما نؤذيه بصورة غير مباشرة... [١٧٤]ونحذره من أنه إذا كرر سلوكه فإنه سيجلب له سخرية الآخرين.

نعرف أن وسيلة التعبير للتفاعل مع النكتة كما هو شائع[١٧٥] هي الضحك، فإذا لم يرد المتلقي على رسالة النكتة بالضحك فليس هناك نكتة ؟ إذاً فمفهوم النكتة يختلف من مجتمع لآخر، تبعاً لمبدأ الواقع لديه من جهة ومستوى ثقافته وانفتاحه على الآخر بعاداته وتقاليده من جهة أخرى ليستطيع التفاعل معها أو بمعنى آخر حتى يستطيع قراءة النكتة من حيث الظروف السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية التي أوجدتها، فما يعتبره شخص نكتة يمكن أن يعتبره أخر ثرثرة.

فالنكتة هي بنت البيئة التي أوجدتها. وبالتالي تختلف طبيعة النكتة، وآلية تلقيها، من مجتمع لآخر، وبيئة وأخرى، وحتى من حي لآخر، ومن شخص وآخر.

وكون النكتة متغيرة ومتبدلة، فهذا يخضع لمبدأ اللذة والألم الذي تحققه النكتة في ضوء معطيات مبدأ الواقع، فالنكتة ذات الإيحاءات الجنسية أو الجنسية الخالصة وعلى الرغم من أنها الأكثر تداولاً، لأنها إحدى حالات التصريف للكبت الجنسي، نجد أن هناك مجتمعات وحتى أشخاصاً يرفضون مجرد الاستماع لها، وبالمحصلة هي لا تُقال إلا أمام الأصدقاء المقربين. والتفاعل مع النكتة هو أحد المؤشرات الهامة لرصد المزاج العام السائد، فعلى صعيد **النكتة السياسية**، التي نعرف من خلالها تقبل الناس للأوضاع السياسية، نلاحظ البعض يُلقي النكت على إحدى الشخصيات السياسية غير "المؤذية" أو أحد الوزراء أو حتى رئيس البلد، وفق مبدأ اللذة.

---

(١٧٣) بيان الحد بين الهزل والجد، ص٢١١

(١٧٤) أدبنا الضاحك، عبد الغني العطري، ص١٥-١٦-١٨

(١٧٥) سنثبت لاحقاً أن الامتعاض والحزن هو أيضاً وسيلة تعبير عن التفاعل مع النكتة

وكلما زادت أهمية الشخصية التي تكون الهدف من النكتة استطعنا التعرف على مدى رضى الشارع عن هذه الشخصية أو الواقع الذي تمثله والحالة التي تعبر عنها، وذلك من خلال تحليل النكتة. مثلاً: من النكت التي ظهرت بعد إقالة إحدى الحكومات العربية هذه النكتة الذكية اللماحة التي نتعرف من خلالها على مستوى أداء هذه الحكومة، تقول النكتة:" أنه بعد أن تحقق لرئيس وزراء تلك الحكومة كل ما يحتاج إليه من ثروة ومال وسلطة، بدأ يعتريه شعور أنه سيصبح نبياً، وفيما هو سائر يفكر بهذا الأمر، شعر بحاجة ماسة للتبول، فقصد إحدى الزوايا وبينما هو يتبول، بادره رجل بقوله: اقرأ، فظن أن النبوة في طريقها إليه، أجابه: لست بقارئ، فقال له:اقرأ، أجابه: لست بقارئ، قال له الرجل الذي أصبح خلفه بعد أن ضربه على قفاه: اقرأ لا تبول على الحائط يا حمار".

وحال النكتة السياسية التي تمس نظاماً سياسياً دكتاتورياً أنها تُلقى وتسمع ويتم التفاعل معها تبعاً للوسط العام الذي ترمى فيه، فيمكن أن تسفر عن ضحك يصل لحد الهستريا إذا ألقيت في جو يسوده الاطمئنان (وسط الأهل مثلاً)، وينطوي على ابتسام إذا كان شعور الخوف وعدم الارتياح هو المسيطر، وفي حال لم يرتح الشخص للجو العام الذي يحيط بالنكتة يتظاهر باللامبالاة أو عدم فهم النكتة... ومهمٌ أخيراً أن نميز بين الضحكة الصفراء أو السوداء، التي دافعها الانتقام، والضحكة العادية أو البيضاء في الهدف التربوي للنكتة".أو كما يقول/ مارسيل بانيول/: التمييز بين الضحك الإيجابي الحقيقي المنعش والضحك السلبي بهدف الاحتقار أو الازدراء، أو الانتقام أو التشفي"[(١٧٦)].

ويمكننا القول أننا عندما نضحك على النكت السياسية أو الجنسية أو الاجتماعية، فإننا نضحك على عادتنا وتقاليدنا وبخاصة البالية منها، أو نضحك على ما فرض علينا من أفكار وسلوك ومعتقدات سياسية ودينية، بالرغم من أننا نخشى لوم الآخرين لنا وسخريتهم منا عندما نطير "خارج السرب"، ويُفهم قول أفلاطون من"أننا نضحك من تعاسة الآخرين" ضمن هذا الإطار، في حين إننا نضحك

(١٧٦) **النكتة الصهيونية، محمد أبو خضور، ص٢٠**

من تعاستنا نتيجة ما فرض علينا. وعليه فالضحك يتيح لنا فرصة لنتصالح مع أنفسنا، لذلك نستخدم الأحمق وسيلة ننتقد من خلالها تلك "التابوات/ المحرمات". فالأحمق لا يلومه أحد، وحتى القانون الحديث لا يحاسبه على تصرفاته. ففي الأمس نعت الحمصي بالأحمق لأسباب سياسية ودينية، واليوم بقي الأحمق الحمصي رمزياً وسيلة لتمرير الكثير مما نخشى أن نقوله بشكل مباشر، ويبدو أنه سيستمر على هذه الحال حتى يدخل في النهاية– بشيء من الشطحات الحمصية- في تركيبة اللاوعي المحلية لأهل المنطقة والدول المحيطة .

حــول النكتـــة

يعرف بو علي ياسين النكتة بأنها :"حديث بين طرفين متنافرين، ينتقل فجأة من الطرف المألوف أو الاعتيادي إلى طرف استثنائي مجهول غير متوقع، فيحدث في المتلقي وعياً مضحكاً بالمفارقة من خلال المتعة التعويضية التي تمنحها له"[١٧٧] ويضيف " النكتة تقدم متعة تعويضية بما يناسب المتلقي"[١٧٨]. ومن الضروري التفريق بين عدوانية النكتة و تربويتها فهي بخصوص الأفراد تربوية أكثر مما هي عدوانية وهي بالنسبة للجماعات عدوانية لا تربوية على الأغلب[١٧٩]. وكان كارل ماركس يشجع النقد الاجتماعي الساخر ويقول يعالج الإنسان نواقصه عندما يسخر منها.[١٨٠] أما برغسون فيؤكد على "عنصر المفارقة" للنكتة ويعتبر أن النكتة "عدوانية في جوهرها".

ويرى فرويد الذي يركز على " عنصر اللذة (المتعة) في النكتة" أن في تقنيات النكتة بحد ذاتها منابع للذة تتحدر من لذة اللعب بالألفاظ و الأفكار "[١٨١].

لذلك ينبغي أن ينطوي موضوع النكتة على كثير من الأهمية بالنسبة للمتحدث والمستمع، لأن النكتة تشكل بالأصل هروباً من مواجهة الواقع (أو إنكار الواقع بتعبير فرويد). ومن ناحية أخرى فهي تهدئ التوترات الانفعالية، القائمة بإتاحتها إفراغاً لفظياً يحقق التنفيس وإشباع المطالب اللاشعورية، (وهنا بتعبير فرويد يمكن أن تنطلق من عنصر عدواني) "[١٨٢].

---

(١٧٧) بيان الحد بين الهزل والجد، ص٥١

(١٧٨) سابق، ص٥٤

(١٧٩) مصدر سابق، ص١٦٤

(١٨٠) الفكاهة البلغارية داميان بارنيا كوف، ص٨

(١٨١) سابق، ص٤٦

(١٨٢) النكتة الصهيونية، ص٤٤

وعليه تشكل **النكتة** في جوهرها هروباً من الواقع تحقيقاً لمطالب لا شعورية تُفَرّغ لفظياً من خلال لذة اللعب بالألفاظ والأفكار تعبيراً عن دوافع عدوانية في جوهرها ، تتيح لها النكتة صماماً للتنفيس والانتقام بغية إحراز متعة تعويضية تناسب المتلقي.

وإذا حاولنا تفكيك النكتة إلى عناصرها ، نلاحظ أنها تتألف من ثلاث عناصر:

مبدع النكتة "الرامي": يؤلفها لتحقيق غاية من ورائها.

الشخصية الثانية" المستهدف": وتدور حولها النكتة. وهذه الشخصية يمكن أن تتجسد في أشخاص وهميين كشخصية جحا في الأدب العربي،أو من الواقع كشخصية الأجدب الحمصي، أو من الواقع ولكن يُرَمز لها ، مثل شخصية الأحمق إيفان للدلالة على أهالي غابروفو المستهدفين بالنكت في بلغاريا...، أو تتجسد في مفاهيم مثلاً: للاشتراكية خمس علامات تدل عليها ، لا أحد يعمل إنما الخطة تتحقق، الخطة تتحقق لكن لا شيء في السوق، لاشيء في السوق لكن البيوت تتمون، البيوت ممونة لكن الناس غير مبسوطة، الناس غير مبسوطة لكن الكل يقول نعم"(١٨٣).

الشخصية الثالثة "الهدف": أو متلقي النكتة الذي يريد /الرامي/ أن يؤثر في وعيه. ليقدم له شيئاً جديداً أو يدعم ما عنده من قناعات أو ربما ليزعزع فيه قيمة دون أن يقدم قيماً جديدة. فالشخصية الثالثة مستهدفة هي الأخرى لكن بصورة غير مباشرة. كما يقول بوعلي ياسين.

استطاع الحمصي أن يكون كل ذلك. فميزة أهل حمص أنهم وفي كثير من الأحيان هم الرماة: وبسرعة بديهة فائقة، لنتذكر أحداث كوسوفو، عندما خرج أهل حمص بنكتة تقول:" أن شركة ألبان حمص تضامنت مع ألبان كوسوفو". ونكتة ظهرت أثناء التوتر الذي ساد العلاقات السورية التركية أواخر التسعينات

---

(١٨٣) بيان الحد بين الهزل والجد، مصدر سابق، ص١٥٤

تقول:" أعلن محافظ حمص مهدداً تركيا بأن أي اعتداء على سوريا هو اعتداء على حمص. ونكتة خلال حملة رسمية على الفساد في سورية في العام٢٠٠٤ تقول إن موظفاً دخل إلى مكتب أحد المتنفذين، وقال له: أنت حمار، فجن جنون المسؤول وأبى إلا أن يسجنه خمس سنوات، وبعد أن استشار عدداً كبيراً من المحامين وجد أن السب والتشهير حكمها بين ٣-٦ أشهر، وعندما يئس أتاه محام حمصي وقال له:أنا من سيسجنه خمس سنوات، ولكن أعد علي ما قاله لك، أجاب قال لي أني حمار.وفي اليوم الثاني سمع المسؤول: أن الموظف حكم عليه خمس سنوات وست أشهر، وعندما حضر المحامي الحمصي، قال له المسؤول فرحا: كيف فعلت ذلك، أجاب بسيطة يا سيدنا ، ست أشهر سب وتشهير، وخمس سنوات كشف أسرار دولة.

بالإضافة إلى أن الحمصي وعى صراع العصبيات الدينية والسياسية وحاول استخدام نفس أسلحة خصومه وبالتالي أصبحوا يتندرون على أنفسهم لإغاظة خصومهم من جهة وإثبات عكس ما يدعون تماماً كما تغيظ الطفل المشاكس عندما تقلد حركاته.

و الملاحظ أنه في كل دولة في العالم مدينة تكون موضع تنكيت من قبل مدنها ففي تونس سوسة، غابروفو في بلغاريا، الصعيد في مصر، وفي اسكتلندا ابردين، وحمص في سوريا...الخ هذا على الصعيد الخارجي، أما الداخلي فضمن ما يسميه " بو علي ياسين " العصبيات المحلية " نجد أن كل مدينتين يمكن أن تتبادلا الأقاويل فيما بينهما تصل إلى حد التجريح. من هنا نجد تنافس أهالي حلب والشام، والرقة ودير الزور، واللاذقية و طرطوس. وفي مجال التنكيت كلهم يستهدفون الحمصي.

من هو الرامي أو مبدع النكتة أو صانع النكتة :

بالرغم من أن الرأي السائد يقول" أن صانع النكتة مجهول في كثير من الأحيان" إلا أنه في أغلب الأوقات هو المثقف الشعبي المهتم بالشأن العام، فالنكتة هي بنت محيطها، تفرزها ظروف سياسية، اقتصادية،اجتماعية وفقاً لمتطلبات المرحلة وهي بتعبيرها عن اللاشعور تشكل تفريغاً هاما للدوافع المكبوتة، وهنا

يمكن أن تكون النكتة أداة مهمة في يد الأجهزة الأمنية لتحفيف احتقان الشعب من قضية أو ظاهرة سلبية، طبعا ليس بالضرورة القضاء على تلك الظاهرة وإنما مجرد الضحك منها وتغير صورتها في عقولنا بتحويلها من موضوع جدي وخطير إلى قضية هزلية، ومثل تلك النكتة يتلذذ الناس بترديدها همسا.

ويمكن أن يكون الإعلام صانعاً لحدث يروى فيما بعد كنكتة على سبيل المثال: عندما فر نابليون من جزيرة ألبا سنة ١٨١٥ نشرت إحدى الصحف الباريسية أنباء فراره في مقالات كتبتها على عدة أيام، وصدرتها بالعناوين الآتية بترتيب الصدور، فرار الوحش الكورسيكي، وصول السفاح الأكبر إلى خليج جوان، المغتصب يدخل مدينة جرينوبل، بونابرت يقترب من مدينة ليون، نابليون يشق طريقه إلى فونتبلو، صاحب الجلالة الإمبراطور يصل غداً إلى باريس المخلصة"[(١٨٤)].

هناك عدة عوامل تزيد من فعالية انتشار النكتة أهمها الآنية التي يمكن الاستعاضة عنها في حال تشابه الظرف الاجتماعي الذي أفرزها، أو ظرفية مكانية وليست زمانية وهذا ما ساعد على تدويل النكتة وثالث هذه العوامل راوي النكتة الذي يزيد من جاذبية النكتة تحقيق الغاية المنشودة منها.

والغريب أنك تسمع الكثير من النكت المتشابهة، وكل بلد ينسبها على الأغلب إلى المدينة التي يطلق عليها النكت أو يُبقي بطلها مجهولاً.

المـــزاج الجمعـــي

وليس ببعيد أن يكون هناك مصدر واحد للنكت يشترك به البشر يُحَور فيما بعد وفق حاجات كل منطقة وتعالج من خلال مزاجها الخاص وظروفها كالأساطير مثلاً، وليس ببعيد أنه كما قال يونغ باللاشعور الجمعي وأدوات التعبير عنه الأساطير والأحلام... إلخ، أن يكون هناك (المزاج الجمعي) وأدوات التعبير عنه على سبيل المثال، البكاء، الضحك، الابتسام، وحتى النوادر والنكت..الخ.

---

(١٨٤) بيان الحد بين الهزل والجد، ص١٦٠

وعليه- كما سبق وأشرنا- فمن شأن النكتة أن تقيس هذا المزاج الذي يتحكم بسلوك الإنسان، و يتحكم حتى بغريزته ذاتها، هذا افتراض يحتاج إلى جمع الكثير من نكت الشعوب وتحليلها والمقاطعة فيما بينها، وإبراز أوجه الاشتراك والاختلاف والظرف الذي أوجد النكتة، والنكت التي تخص هذه المنطقة دون سواها، فقد تُطلق نكتة على حكومة في بلد معين، ويمكن أن تُردد في بلد آخر عندما تتوفر للنكتة الظروف الموضوعية التي أنتجت سابقتها. ويمكن أن يكون للمزاج الشعبي (نظراً لعلاقة النكتة به) موقف موحد عند بني البشر إزاء العديد من القضايا يؤدي إلى إطلاق نكتة متشابهة في أكثر من بلد وفي أوقات مختلفة بالرغم من عدم التواصل المباشر فيما بينهم وإنما من خلال التواصل غير المباشر وتحديداً (المزاج الجمعي).

تعـريف خـاص للنكتـــــة

النُّكْتَة، كما يشرحها معجم المنجد الأبجدي، هي مفرد نُكت ونِكات: النقطة السوداء في الأبيض أو البيضاء في السوداء/الأثر الحاصل من نَكْتِ الأرض/ شِبْه الوسخ في المرآة والسيف ونحوهما/ المسألة الدقيقة أُخرجت بدقة نظر وإمعان فكر/ الجملة اللطيفة تؤثر في النفس انبساطاً.

من هذا الشرح يمكن أن نستنتج التعريف التالي:

النكتة هي جملة لطيفة يُخرجها المثقف الشعبي (حلقة الوصل بين المثقف النخبوي والشعب) ليبسط للعامة ما يجري من حولهم كطريقة لمساعدتهم في تكوين موقف إزاء هذا الحدث أو ذاك، حيث يُزيل هذا المثقف الشوائب التي علقت بالأحداث والمواقف، ما يُحدث نَكتاً (تغير جذري) في الحالة المزاجية لمتلقي النكتة تؤثر في النفس انبساطاً. وعليه يمكن أن نسمي انقلاب الحالة المزاجية من حالة إيجابية إلى حالة سلبية نكتة، كما يمكن أن نسمي انقلاب الحالة المزاجية من حالة سلبية إلى حالة إيجابية نكتة.

لنطبق التعريف السابق على النكتة الحمصية:

النكتة التي تروى أمام الحمصي من قبل المدن الأخرى هدفها أساساً (نَكْت المزاج) من حالة إيجابية للحمصي إلى حالة سلبية ومن حالة سلبية لمن يستمع للنكتة من غير أهل حمص إلى حالة إيجابية.

نكتة	رامي النكتة	متلقي النكتة	المُستهدَف
ضحك		ضحك	امتعاض

طبعاً مع العلم أن الأثر الذي كان مطلوب إحداثه كما هو واضح من مفهوم النكتة السابق، تحول إلى جانبه الإيجابي من قبل متلقي النكتة أي أهل حمص (باستثناءات قليلة) ورامي النكتة وهو في أغلب الأحوال الحمصي نفسه لتصبح العلاقة كالتالي:

نكتة	رامي النكتة متلقي النكتة	المستهدف
ضحك	ضحك	ضحك

لكن الأمر بالنسبة لمن ينكت مثلاً على أهل السويداء أو درعا... مختلف ويصح عليه الاستنتاج الأول بدرجة أكبر مما يصح على الحمصي لأن للبيئات المتنوعة التي عاش فيها الحمصي خصائص جعلت الأسلحة التي استخدمها خصومه غير فعالة، أقصد القصص والنوادر التي وردت في الأدب والتاريخ العربي وشكلت الأساس الذي بنيت عليه النكت على أهل حمص .

يقول إبراهيم عبد القادر المازني وهو "من أبرع كتاب العربية سخرية ونكتة"، " تشعر بالنكتة أنك أخذت ثأرك وشفيت نفسك وانتقمت من ظالمك أو خصمك بتحقيره أو تصغيره والإقلال من شأنه بين الناس" ويضيف" هناك غرض آخر تدركه بالنكتة، وهو أن من تطلقها عليه، يكون قد أخفق، لأنك إذا استطعت أن تقابل عنته وجوره أو لؤمه بضحكة ساخرة، فكيف يمكن أن يقال أنه نالك بإساءة؟"[١٨٥] المازني يتحدث هنا عن الدور التعويضي للنكتة بأن ننتقم ممن لا نستطيع أن ننال منهم عن طريق الفعل، فننال منهم عن طريق التقولات ومنها النكتة.

---

(١٨٥) **النكتة العربية بين الماضي والحاضر، علي ديب حسن، ص١٤٧**

وجهــات نظــر حول النكتة الحمصية

حـاول الرحالـة والمـؤرخ أحمـد وصـفي زكـريـا مـن خـلال كتابـه "جولـة أثريـة في بعض البلاد الشامية" تقديم تفسير لأخبار الجنون الحمصي التي عمت المعمورة يقـول زكـريا :" ما يثير الاستغراب أن خبر الخبل والحمق، اللذين وصف بهما ابن جوقل والمقدسـي أهـل حمـص، في القـرن السـادس، كـرره ياقوت في القـرن السـابع، وزاد عليه بصمات أخرى، حملته على ذكرهما بواعث نفسانية على ما نظن[١٨٦].

ويضيف: سألت بعض فضلاء الحمصيين عن وصمة الحماقة فلم أجد من ينفع غلـة إلا أن أحـدهم أجـابني، بمـا يلخـص في: "أن الحمصـيين كـانوا في العصـور الإسـلامية الأولى ذوي أنفـة وعصـبية، جعلتهمـا يثبـون مـراراً ضـد عمـال الأمـويين والعباسيين، فتأتيهم الجيوش للتأديب والتنكيل، فمن كثرة الضربات التي أنزلت بهم وشدتها، صار من يريد التخلص من تبعة هـذه الفـتن الموقـدة، يتظاهر بالبله مـدة مديـدة، وتعـدى هـذا التظـاهر بعـد حـين إلى الخـلاف علـى البيـوع والعقـود وغيرهـا، يتوسل به مـن يريـد الإيهـام، ولمـا كثـر عـدد هـؤلاء المتظـاهرين، صـار الغربـاء يظنـون شـيوع ذلـك في كافـة أهـل حمـص، وتناقلـت الألسـن هـذه الشـائعة، ولم يعـد في الإمكان التقاطها"

علـى أن أحسـن مـن أجـاب عـن أسـئلتي بـين الحمصـيين كـان الخـوري البحاثـة (عيسى أسعد) صاحب تاريخ حمص فقد قال ما خلاصته:" نتج خبر الحماقة والبلاهة على ما أظن، عن اشتهار الحمصيين بإخلاصهم في معتقداتهم ومبادئهم، ويغلب علـى المخلص تطرفه في تأييد مـا يرتئيـه، لا تأخذه فيـه هـوادة، ولا يتبصـر بالعاقبـة، الـتي يحرص عليها السياسيون، فمن أمثلة إخلاص الحمصيين موقفهم مع الأمـويين، تجـاه

---

(١٨٦) جولة أثرية في بعض البلاد الشامية، ص ٣٣٢

الإمام علي رضي الله عنه، والإخلاص الشديد الناتج عن طيب السريرة، يجعل المرء عرضة للانخداع، لذلك نسبت إليهم الغفلة عما لا يهمهم، فأرسل بعضهم كلمة في المعنى، تلقفها عنه سواه، فذهبت مثلاً"[١٨٧].

نظرية بو علي ياسين حول النكتة الحمصية:

" التنكيت على " جدبان حمص" ظهر في الخمسينات، وكان متأثراً بالتنافس بين مدينتي حمص وحماة، في ذلك الوقت كانت الناس تتحدث عن عوران حماة تقريباً مثلما تتحدث عن جدبان حمص.. ومنذ بداية السبعينات كما أقدر، لم تعد تعبر عن التنافس التقليدي بين أهالي حمص وحماة، وإنما مجرد التسلية والمزاح، فعصبويتها تحولت مع الأيام إلى تهزيرية، ما يعني أن الدافع إليها كان في الأصل التفاخر على أهل حمص وبالتالي تأكيد الذات[١٨٨]، ومن ناحية أخرى يبدو لي أن الناس تحتاج إلى شخصية نمطية، كي تنسب إليها نوعاً من الأفعال والأقوال، ومن الواضح أن شخصية التحامق وليس الأحمق أعجبت الناس، وهذه شخصية لا تخلو من الحكمة ولا تنفصل عن التاريخ، حاول البعض مع جحا، ثم نسبت للحمصي صفاته وقد لاقت هذه الشخصية قبولً شديداً في سوريا حتى اتخذت في السبعينات ظاهرة الصرعة، ساعد في ذلك التأثير التاريخي والتراثي، من خلال الحديث عن مغفلي حمص"[١٨٩].

أما علي ديب حسن يقول:

" ليس هناك نكتة حمصيه ولا شامية ولا ..الخ، فكثيرة هي النكت التي تروى على أساس أنها حمصيه وهي مصرية وفي مصر ينسبونها إلى الصعايدة و الصعايدة هم أناس طيبون مسالمون لكنهم معروفون بقسوتهم وخشونة حياتهم، وبالتالي النكتة عامة شاملة، أما لماذا يتحمل أهل حمص عبء النكتة وحدهم؟ يجيب علي حسن:" ليست هناك أية إجابة محددة أبدا، إنما يمكن أن نقول أن آراء

---

(١٨٧) مصدر سابق ٣٣٦

(١٨٨) راجع ص ٧ من هذا الكتاب، حول رأي بو علي ياسين في هذه النقطة

(١٨٩) بيان الحد بين الهزل والجد، ص٢٢٩ وما يليها

المازني التي طرحها حول انتشار وازدهار النكتة المصرية، صالحة في هذا المجال أيضاً، أهمها: خفة الدم المصري – الموقع الجغرافي – المكانة التاريخية والاجتماعية"[190].

وهناك عوامل كثيرة صبغت طبع المصريين بالمرح والفكاهة منذ القدم، كما يقول الأستاذ أحمد أمين،... فللبيئة الطبيعية التي عاش فيها المصريون ميزات كثيرة.. منها وادي النيل المعطاء يفيض على الوادي الخصيب... ولاشك أن الحياة في السهول الفساح المنبسطة وقت المصريين الأوهام والمخاوف وتعقد النفوس[191] .

تركيبة الشخصية الحمصية:

هذه العوامل تنطبق بدرجة كبيرة على حمص، فهي أكبر المحافظات السورية مساحة وأكثرها تنوعاً بيئياً، وفيها " كان" نهر العاصي وطبيعته الخلابة. و "**أهل حمص الأذكياء**"، يعتبرون من أمهر الوسطاء في عالم التجارة... فحمص تشترك مع حلب ودمشق في السيطرة على حركة التجارة والمرور بين الشرق والغرب، والفرس والروم، ووادي النيل، ووادي دجلة، حتى أن هذا الطريق، الأخير، الذي كان يربط بين أقدم حضارتين، يعتبر في نفس الوقت أقدم طريق تجاري عرفه العالم..[192] وحمص هي المنطقة الوسطى في سوريا، وبالتالي هي ممر رئيسي للمسافر والتاجر ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، بالإضافة لكونها مركز للتفاعل الاجتماعي وهذا يؤثر على تركيبة الحمصي القادر على التأقلم بسرعة في أي مكان يقيم فيه، بالإضافة لكونه محبوباً من قبل أكثر - إن لم نقل كل- المناطق السورية.

وفي سوريا معروف الحمصي بخفة دمه ودماثته، غالباً ما تنقذ أهل حمص من مواقف حرجة " يستنتج د. محمد المخزنجي في استطلاعه عن مدينة حمص من إحدى أساطير حمص الحية التي تقول إنها مرصودة من العقارب، ما يدعم القول بطيبة

---

(١٩٠) النكتة العربية بين الماضي والحاضر، ص١٨٦

(١٩١) موسوعة الأدب الضاحك، مرجع سابق، ج٢، ص٩-١٠

(١٩٢) حمص ...، مجلة العربي- العدد ٥٢- آذار، ١٩٦٣

الشخصية الحمصية إذ يقول : يُفسر عدم وجود العقارب بعدم ملاءمة التربة لبيضها، وثمة تفسير علمي آخر يقول لوجود مادة الزئبق في تربة حمص.

ويتابع:" إنها أسطورة يرجعها البعض إلى جذور طوطمية ضمن الرموز الدينية للقبائل البدائية القديمة، لكن المدهش أنها ظلت تعبر بثبات ما تعاقب على المكان من معتقدات وثنية آرامية، فيونانية، فرومانية، ولم تتوقف الأسطورة عن الحياة حتى مجيء المسيحية، فلا عقارب- حقاً- في حمص.

ولعل ذلك يدعم القول بطيبة الشخصية الحمصية التي هي – برغم من عناد ومباشرة صادمة أحياناً- أبعد ما تكون عن أي ملامح للغدر والمؤامرة والالتفاف واللدغ التي تتسم بها العقارب"(١٩٣).

ولعلنا واجدين في تاريخ المدينة التي يعود تاريخها إلى حوالي ٢٤٠٠ق.م ومنهم من يردها إلى تاريخ أقدم، ومعنى إسمها علاقة بشخصية سكانها، فثمة من يقول أن حمص هي لفظ آرامي"الأرض **اللينة**" وثمة من يقول أن اللفظ حمص جذر كنعاني يعني فيما يعنيه" **الخجل**" ربما من حمرة اللون، ويرجعون أصل المدينة إلى قرية لبنانية هاجر سكانها إلى موقع المدينة الحالي عندما تعرضت الشواطئ الشرقية للبحر المتوسط منذ منتصف القرن ١٥ق.م إلى غارات"شعوب البحر" أو لصوص البحر عليها، ولعل حمص اللبنانية أصابها ما أصاب أوغاريت التي تهدمت وأحرقت على يد هؤلاء المغيرين عام ١١٠٠ق.م.

ومن ثم انسحب الناجون من حمص اللبنانية باتجاه الشرق التماساً للأمان. وأقاموا في المنطقة الوسطى من سوريا في موقع التل الحالي، وأنشأوا قرية أسموها حمص ليعبروا عن تعلقهم بموطنهم الأول على عادة النازحين في كل زمان ومكان(١٩٤).

---

(١٩٣) حمص... رحابة المكان، مرافئ الزمان، العربي- العدد ٤٥٦- تشرين الثاني١٩٩٦

(١٩٤) حمص دراسة وثائقية في الحقبة من ١٨٤٠-١٩١٨م، مرجع سابق ص٢- ٣

و" المستعرض لبنية حمص الظاهرية يلاحظ عدم وجود الجبال المعيقة بها ، لهذا كانت- ولاتزال- عقدة مواصلات مهمة. ولقد ساهم موقعها ليس في جعلها منطقة اتصال إدري مهم فحسب، بل جعلها منطقة اتصال ثقافي، واتصال اقتصادي، واتصال إنساني"(١٩٥).

(١٩٥) حمص... رحابة المكان،، مرجع سابق ص١٢٦

وجهة نظر

" لو منع الناس من مدح أنفسهم وذم الآخرين،

لقلة مادة الكلام جداً"

أثارت انتخابات العام ٢٠٠٦ لفرع اتحاد الصحفيين في محافظة حمص الكثير من الاحتجاجات في صفوف الصحفيين البعثيين نظرا لفرض الأسماء من قبل فرع حزب البعث.

فعبر أحد المرشحين عن احتجاجه على طريقة "الإملاء" التي فرضت على الناخبين بأن قام بترشيح كل من الفنانة هيفاء وهبي، ونانسي عجرم، وإليسا لتمثيله باتحاد الصحفيين، والطريف أن أسماء الفنانات الثلاثة تليت أمام الصحفيين مترافقة مع احتجاج رئيس اللجنة الذي اعتبر الأمر "عيبا"[٦].

يمكن الآن النظر إلى مراحل تطور تاريخ التنكيت على أهل حمص ضمن دائرة تاريخية بدأت بعيدٍ للمجانين اندثر وبقي صداه في يوم الأربعاء عبر التاريخ ثم عبادة تصل طقوسها إلى حد الجنون، ثم بلاهة، ثم تباله، ثم حمق، ثم جدبة، ثم جنون، وبذلك تعاد الحلقة ذاتها لكن مع تغير المفاهيم.

تظهر الفصول السابقة أن حمص كانت مرجعاً دينياً على صعيد **الأطوار الدينية** التي مرت بها. كما أنها كانت "كعبة" للماجنين ومحبي اللهو والطرب.

ويمكن أن نشبه حمص بعملة لها وجهان، وجه مادي (اللهو والمجون) والآخر روحي (التصوف).

(٦) حزب البعث وصحفيو حمص، نشرة كلنا شركاء في الوطن عدد ١٤ تموز ٢٠٠٦

وتـاريخ حمـص الـذي فصّـلناه، بمـا يخـدم موضـوعنا، أظهـر كيـف اجتمعـت في حمص تلك الصفتان المتناقضـتان، وهنـا يمكننـا أن نجمـل مـا توصلنا إليـه مـن نتـائج خلال دراستنا:

يوم الأربعاء: هو يوم مقدس، في حمص، إذ فيه كان يتم التحضير لأعياد الربيع القديمة، والتي منها يوم المجانيين أو"عيد المجانيين"، إلى أن اندثر ولم يبقى منه إلا التسمية.

ثم جعله بعض المتصوفة المسيحيين "يوم الرب" وبذلك تم إيجاد علاقة بين يوم الأربعاء والسيد المسيح " فكان ليوم الأربعاء متمما" كما يقول المتصوف الإسلامي ابن عربي. وفي التصوف الإسلامي دخلت كلمة المجاذيب والدراويش كإحدى درجات التصوف في الطرق الصوفية، فنظروا إلى المجاذيب على أنهم صالحي هذه الأمة وهم رجال الغيب المعنوّن (بأهل اللّه) والمجذوب لغوياً هو المختل عقلياً.

وليس من المستبعد أنه كان يجري في هذا اليوم إحياء لذكرى ما، أو احتفاء بمناسبة معينة، وعلى الأرجح أنه كان يوم خاص بحمص دون المناطق الأخرى.

١. حمص لفظ آرامي يعني"الأرض **اللينة**" وجذرها الكلمة الكنعاني يعني فيما يعنيه" **الخجل**"، وإن كان هذا حال اسمها فإن موقعها وفر لها أهمية حضارية دينية وسياسية واقتصادية طبع أهلها بصفات اللين والطيبة.

٢. كانت طقوس عبادة إله الشمس الحمصي، ترافق بحركات طقسية تعتمد الرقص والموسيقى... التي يتصاعد إيقاعها ويصخب ويتسارع إلى حد الهذيان، كل ذلك كان يثير نشوة الجماهير حتى الجنون، وهذه الطقوس بقدر ما كانت مألوفة في حمص، كانت على ما يبدو في نظر الرومان شاذة، رغم صلة حضارتهم بعبادات ماجنة كعبادة ديونيسيوس وباخوس.

٣. لم يختر "القديس" سمعان المتباله، التباله كطريقة في العبادة إلا ليحافظ على الإرث الروحي الذي حصله عن طريق تصوفه، فالمنطق الصوفي يقوم أساساً على احتقار الجسد عن طريق إهمال غرائزه لصالح ما هو أسمى أي الحاجات

الروحية والتواصل مع الخالق وصولاً للتوحد معه. فهذا الإرث الروحي الذي كانت حمص قد حصلته هو الذي جعل من أهلها يستوعبون هذه الطريقة تمهيداً لتطبيقها ثم نشرها في العالم.وهي طرق كان لها امتداد في التصوف الإسلامي.

٤. بناءاً على ذلك أصبحت حمص"عاصمة التباله الروحية". لها في ذلك فلسفة خاصة[١٩٦] [" تسعى إلى الاستيلاء على المطلق بعاصفة(طقوس العبادة)، وهي تشعر بأنه حيث فشلت الرصانة فقد ينجح السكر الروحي" "لأن العقلية المنطقية لا تعمل إلا في نطاق النظام الطبيعي، وتبعاً لذلك فإن النظام الإلهي لا بد أن يكون غير قابل للمعرفة من جانب العقل المنطقي" فنحن ننتقل بالتصوف " من عالم الفكر والعقل والفلسفة إلى أرض الأحلام والظلال " على اعتبار أن التصوف هو " النصف الآخر من الحقيقة الذي أغفلته الفلسفة الطبيعة" وهو طريق يعتمد على "الحدس الديني... واللغة الرمزية" اللذان يقومان مكان "العقل، واللغة في النظام الطبيعي"، وبالتالي (فقد رأت هذه الفلسفة أن) ما تحتاجه الإنسانية[١٩٧] ليس ببغاوية تزعم عقلانية مضحكة، بل ما يملأ خواءها المادي بـ" الوجود الروحي" الذي لا يشغله متحذلقون، بل صادقون في التحرر من أسر المادية الكاسرة "] ليحلقوا في سماءهم الخاصة.

٥. هذه هي البيئة الدينية التي ترعرع فيها التصوف على الطريقة الحمصية. لكن "التباله" بدأ يأخذ معناه المادي على يد العرب المسلمين خلال حروبهم التي قاموا بها للسيطرة على بلاد الشام، وتحديداً بعد وفاة الرسول العربي الذي كان مدركاً لأهمية حمص الدينية، وهذا يظهر في حديث رواه أحمد بن حنبل في مسنده:" عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال سرت حتى أدخل الشام ثم

(١٩٦) هذه الأفكار التي سترد فيما يلي للفيلسوف"ستيس، ١٨٨٦-١٩٥٢ "وردت في دراسة لأعماله وتحديداً لكتابه"التصوف والفلسفة"، وطبعاً لم يرد ذكر للتباله كطريقة في التصوف فيه، وإنما وجدت أن هذه الأفكار تخدم الموضوع الذي نبحث فيه (ملحق السفير الثقافي، الجمعة ١٥ آذار ٢٠٠٢، نواف الموسوي)

(١٩٧) كما يقول الأستاذ نواف الموسوي كاتب المقال.

أنزل حمص فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليبعثن الله منها يوم القيامة سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب عليهم مبعثهم فيما بين الزيتون وحائطها في البرث الأحمر منها"[198].

٦. العامل الأهم في تكريس صفة "الحمق" المادي كان صفحات الأدب والتاريخ العربي، التي حملت بين طياتها صراع العصبيات العربية والطائفية.

٧. كثيراً ما تطلق صفات جحا على الحمصي، كهذه النكتة التي تروى على جحا في الكويت وتنسب إلى الحمصي في سوريا: " كان جحا لا يعرف القطار. ولما سأل عنه، قيل له: هو أسود طويل. ثم أراد جحا أن يسافر، فرأى رجلاً طويلاً، فحاول الركوب على ظهره. قال الرجل: ماذا تفعل؟ فقال جحا: أريد أن أسافر" وخاتمة نكتة الحمصي أجمل: " ياللّه، شدّ عَ حمص"[199].

٨. وجحا على ما يروي ابن الجوزي" يكنى أبا الغصن، وقد روي عنه ما يدل على فطنة وذكاء، إلا أن الغالب عليه التغفيل، وقد قيل: إن بعض من كان يعاديه وضع له حكايات والله أعلم، عن مكي بن إبراهيم أنه يقول: رأيت جحا رجلاً كيساً، ظريفاً، وهذا الذي يُقال عنه مكذوب عليه، وكان له جيران مخنثون يمازحهم ويمازحونه، فوضعوا عليه"[200]. وكأن ابن الجوزي أكثر

---

(١٩٨) البرث جبل من رمل سهل التراب لينه والبرث الأرض السهلة اللينة و البرث أسهل الأرض البرث أرض لينة مستوية تنبت الشعر وفي الحديث يبعث الله منها سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب فيما بين البرث الأحمر وبين كذا البرث الأرض اللينة قال يريد به أرضا قريبة من حمص قتل بها جماعة من الشهداء والصالحين ومنه الحديث الآخر بين الزيتون إلى كذا برث أحمر. (لسان العرب، لابن منظور ج٢، ص١١٥) وحمض بالفتح ثم السكون والضاد معجمة وهو في اللغة كل نبت فيه ملوحة ترعاه الإبل وادي حمص قريب من اليمامة له ذكر في شعرهم، حمض وعريق بالتصغير موضعان بين البصرة والبحرين شرقي الدهناء وقيل هو بين الدو وسودة وهو منهل وقرية عليها نخيلات (ياقوت معجم البلدان ٣٠٥/٢). ولكن الحديث واضح أنه يقصد حمص الشام وليس حمض أو وادي حمص الكائن قرب اليمامة.

(١٩٩) بيان الحد بين الهزل والجد، مصدر سابق، ص٢٤٣

(٢٠٠) أخبار الحمقى والمغفلين، ابن الجوزي، ص٤٠

المتحاملين على أهل حمص كياقوت يلخص ما أردنا أن نقوله في شأن النكتة الحمصية، أن من كان يعادي أهل حمص وضع لهم النكات.

في حرب الآيديولوجية الفكاهية التي خيضت ضد حمص كان الهدف الرئيسي (نَكْت المزاج) من حالة إيجابية للحمصي إلى حالة سلبية ومن حالة سلبية لمن يستمع للنكتة من غير أهل حمص إلى حالة إيجابية لتحقيق الهدف من تحطيم معنويات العدو أوالتشفي والانتقام منه. طبعاً مع العلم أن الأثر الذي كان مطلوب إحداثه كما هو واضح من مفهوم النكتة السابق، تحول إلى جانبه الإيجابي من قبل متلقي النكتة أي أهل حمص (باستثناءات قليلة) ورامي النكتة وهو في أغلب الأحوال الحمصي نفسه.

يمكن القول إن النكتة الحمصية هي بنت الشعر "الهجائي" والقصص الفكاهية والنوادر التي ولدت على فراش الحياة العباسية"الوثير" (في القرن الثاني عصر الشك والمجون كما يسميه د. طه حسين والقرن الثالث) الذي أفسح المجال لحرب الأيديولوجية الفكاهية أن تأخذ دورها في الصراع (المسيّف) السني/ الشيعي المتبلور خلال العهد الأموي بعد أن شهدت مخاضها في العصبية القبلية (القيسي/اليمني)، والتعصب الطائفي.

وعليه كان التنكيت على أهل حمص تحصيل حاصل للعصبية القبلية والطائفية وبشكل أدق للصراعات السياسية- الدينية التي كانت وما زالت تحكم عالمنا العربي.

كان السيف من وسائل الصراعات العربية/العربية، والإسلامية /الإسلامية على الصعيد الداخلي، و"العربسلامية"/الخارجية عبر التاريخ، كسلاح مادي تطور مفهومه بالتطور التكنولوجي. وكان الشعر (الهجاء، والمدح)، والقصص والنوادر من الأسلحة النفسية (في التاريخ الحديث للعرب أصبحت الخطابة التي فُرغت محتواها، نظراً لاحتراف العرب لنوع جديد من الأسلحة في مواجهة خصومهم يعتمد العبارات الطنانة الفارغة في حلّ مشاكلهم).

وليس استمرار التندر على أهل حمص حتى الآن إلا شكل من أشكال الأسلحة التي اعتمدت الشعر والقصص والأخبار الفكاهية في الماضي للتسلية والتقليل من أهمية الخصم.

ويبرز الجانب العدائي (الهجائي) للنكتة عن طريق هجاء الحمصي بإطلاق أوصاف معينة عليه، وهي بنفس الوقت تسلية، تعتمد الأسلوب الرقيق والعبارة الرشيقة لتصل إلى المتلقي بأقل جهد.

طبعاً لم تأخذ الروايات التي أُطلقت على"الأحمق الحمصي" شكل النكتة كما نعرفها الآن، لأن الفترة المناسبة التي ظهر فيها التنكيت على أهل حمص، كانت على الأغلب " فترة ركود نسبي على المستوى الاجتماعي- السياسي" حيث يكون المناخ مناسباً لحرب الأديولوجية الفكاهية، وذلك يتجلى بأوسع مدى له أواخر النصف الثاني من سبعينيات القرن الماضي إذ ظهرت في تلك الفترة نكتة تقول:" أن أهالي حمص تقاسموا نهر العاصي مع أهالي حماة بحبل، وفي اليوم الثاني وجد الحمويون حمصي يقف في قسمهم وينقل الماء بالعلبة إلى قسم أهل حمص".

وفي فترات "الركود" تُستعاد الخلافات مهما كانت بسيطة وذلك يصح حتى على المستوى الشخصي فما بالنا على مستوى دول أو عصر من العصور، لذلك فإن فترة الحكم العثماني، مثلاً، منذ بدايته، لم تكن أفضل من عصر إنحطاط الدولة العباسية، لكننا لاحظنا فيها بداية للتحول عن التعصب ولنا في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني مثلاً على ذلك وهو "المعارضات الزينية للمنظومات الهلالية" ففيها لاحظنا أن موقف أهل حماة من هذه المعارضات بأن يكثروا المزاح مع الهلالي باستحسان أقوال ومعارضات الشيخ الحمصي" لتقطيع الأوقات وجلب البسط"، أهمية في " تناسي " تعصب الماضي، فلم تعد سرقت بطيخة " تجعل الدم للرُكَبْ" على حد قول المثل الشعبي، كما كان في السابق.

ونلاحظ من النكت التي ظهرت أواخر ثلاثينات القرن الماضي مقارنة مع قصة الشاعرين أن أهل حمص كانوا يسخرون من أهل حماة أكثر مما كان يفعل الأخيرون، " امرأة سقط ابنها في العاصي، فأخذت تفتش عليه من حماه حتى حمص.

ولما وصلت إلى حمص. قالوا لها: أنت غلطانة، لازم تفتشي عليه من حماه لأنطاكية، لأن العاصي بيطلع طلوع ما بينزل نزول. هزة المرأة رأسها وقالت لهم: انتو ما بتعرفوا ابني، **ابني تتح** ودائماً معاكس"[٢٠١].

ولم يكن أهل المدينتين يتركان فرصة تمر دون أن يتخذوا منها فرصة " للتشنيع" على بعضهما. فيقول أبناء حمص في معرض" تشنيعهم" على أهل حماة:" صعد حموي إلى طرف المئذنة، فصرخ به الناس يطالبونه بالنزول لكنه رفض.. في هذه الأثناء مر حمصي ورأى الجماهير وعلم بالقصة، فطلب سيفاً، وأمسكه بيده، وقال موجهاً كلامه للحموي الذي في نهاية المئذنة: إذا لم تنزل حالاً سأقطع المئذنة بهذا السيف! فخاف الحموي ونزل! . ويرد الحمويون على هذه "التشنيعة" فيقولون: كثرت " تشنيعات" أهل حمص علينا، فرأينا أن خير وسيلة لإيقافهم، عند حدهم هو أن نرسل لهم مندوباً، قال لهم: إذا لم تكفُ تشنيعاتكم على أهل حماة، فسنضطر لقطع مياه نهر العاصي عن حمص!! ومنذ هذا اليوم توقف أهل حمص عن التشنيع على حماة، كما يقول أهل حماة!! خوفاً من قطع مياه العاصي من حماة عن حمص. والنكتة هي أن نهر العاصي ينحدر من حمص إلى حماة، وليس من حماة إلى حمص.!![٢٠٢] (أي من الجنوب إلى الشمال، عاصياً باقي أنهار سورية لذلك سمي بالعاصي)[٢٠٣]. وربما بدأت منذ تلك الفترة تشنيعات أهل حماة تزداد على أهل حمص بشكل ملحوظ !!

---

(٢٠١) بوعلي ياسين، مصدر سابق، ص٢٣٢، نقلاً عن المضحك المبكي، العدد٣٩٣، تاريخ ١٩٣٨/١١/٥

(٢٠٢) مجلة العربي، العدد الثاني والخمسون، مارس، ١٩٦٣

(٢٠٣) يقول الأستاذ وليد قنباز:(أن ذلك لم يكن السبب الوحيد لتسميته بالعاصي:" فالبعض يرد التسمية إلى أن مصب النهر في البحر قرب السويدية وعلى بعد ٢٧كم من أنطاكية وأنطاكية وما حولها بقيت بيد الروم البيزنطيين بعد دخول الإسلام وفتوحاته وبعد الروم دخلها الصليبيون بأياد غير عربية وكان العاصي يرويها فقالوا كيف لنهر يجري في ديار الإسلام يدخل أرض الكفر ويروي أهلها..؟ إنه عاص!! (مجلة العربي العدد ٤٨٤، مارس، ١٩٩٩، في استطلاع عن مدينة حماة) ويقول آخرون: لأنه تأبى على ضفافه فاحتال عليه الحمويون بنواعير تغني له وتسرق مياهه دون أن يدري، حتى أن أحد الشعراء قال: عصى فلم يسق أرضاً من حدائقهم إلا بحيلة وسواس النواعير)

تلك التشنيعات التي أدت إلى نشوب معارك عديدة بين أهل البلدين، ولكن جميع هذه الخلافات زالت الآن من الصدور وإن كانت ما تزال تدور في النوادي والمجتمعات كتسلية وتمضية للوقت. يروي أحدهم هذه النكتة:" كان حموي وحمصي يسيران في الطريق، فقابلهما غريب، فسأل الأول: من أين أنت؟ قال: من حماة... حماك الله. وسأل الثاني: ومن أين أنت؟ فقال من حمص... حمصك الله!![٢٠٤]

من العوامل التي ساعدت على كبت الطابع التعصبي بين الحموية والحمصية **وتجلياته عبر المزاح والتسلية** دخول الشامي كطرف شريك للحمصي في النكت، نتيجة الهجرة الداخلية التي شهدتها العاصمة دمشق من المدن السورية المختلفة وزيادة احتكاك أهلها ببعضهم .

وأصبح هناك نوعين من النكت إحداها تتحدث عن الغباء الحمصي والثانية عن ذكاء أهل حمص:

النوع الأولى: تقول: أن شامياً يتنزه مع حمصي في دمشق، فوجد أن الحمصي يلقي السلام أكثر منه على الناس، فقال له الشامي : غريب هناك الكثير من أهل حمص في دمشق، فأجابه الحمصي: لَكَنْ كيف ماتشوفون بحمص.

- أربع حماصنة قصدوا دمشق للعمل، فنصحهم أصدقاؤهم بأن يشارطوا شوفير التاكسي قبل أن يركبوا السيارة، لأن شوفيرية الشام" بالهموطية"، فشارطهم شوفير التاكسي الشامي بعد جدل طويل بـ ٢٥ ل.س أجرة توصيل، وعندما وصل الأربعة إلى مكان عملهم أعطاه كل واحد منهم ٢٥ل.س.

النوع الثاني: خطر لشامي وهو راكب على دراجته الهوائية (بسكليت) أن يسخر عما يُشاع عن ذكاء أهل حمص فوقف أمام كازية يمتلكها حمصي وقال له: امسح لي بلور السيارة، قال له الحمصي: هذه " بسكليت" وليست سيارة، قال له الشامي: إنتي ما دخلك حبيبي نضف البلو، وكل شي بحقو، فتظاهر الحمصي بأنه ينظف البلور، لكن الشامي زاد الطلبات على الحمصي فمرة يقول له عبي بانزين، و

---

(٢٠٤)مجلة العربي، العدد الثاني والخمسون، مارس، ١٩٦٣

غير زيت الفرام، و غيّر بواجي السيارة وكل شي بحقو، تظاهر الحمصي بأنه فعل كل ذلك، وبالفعل دفع الشامي وهو يسخر من الحمصي النقود كاملة، وأثناء خروجه من باب الكازية عاجله الحمصي بلكمة قوية على رأسه وهو يقول للشامي أعتذر لأني لم أغلق لك طبون السيارة.

- لماذا يغطي الحمصي وجهه عند يأتي إلى دمشق؟ لأن الشامي ما بينعطا وجه.

هناك " حكاية باسمة " يرويها الأستاذ نجاة قصاب حسن مجهولة الطرف المشارك للحمصي، تقول:" دخل حمصي إلى دكان فيها ساعات كثيرة معلقة. وقال: بكم هذه الساعة؟ وأشار إلى واحدة منها، فأجابه الرجل: ليست للبيع. قال الزبون: وهذه؟: قال صاحب المحل: ولا هذه. قال فأيها للبيع؟ أجاب ولا واحدة. أنا لست ساعاتياً، أنا مطهر أولاد. قال له الرجل مستغرباً: فلماذا تعلق هذه الساعات؟ أجاب المطهر الحمصي: ماذا تريد أن أعلق لك إذن؟[٢٠٥] (وهذه النكتة يرويها الشوام اليوم عن الصفوري مطهر الأولاد المشهور مع إغفال السائل، وبعضهم يجعل السائل هو الحمصي والطرف الأخر الصفوري)

ونظراً لأن عنصر (تكثيف الحدث أو الفكرة) في النكتة- إن صحت التسمية- منحها وضع ارقى من القصة الفكاهية، وكان تعبيراً عن ارتقاء مستوى التفكير لما فيه من حس عالٍ في "التقاط اللحظة" وصناعتها ورميها وانتشارها ربما بنفس الوقت، والأرجح أن النكتة الحمصية لم تنتشر بمثل ما هي عليه الآن، إلا أواخر السبعينات حيث بدأ الحراك السياسي " يحتضر" ويضعف حتى التلاشي في الواقع السوري وخاصة في النصف الأول من الثمانيات نتيجة للعديد من الضغوط الداخلية والخارجية ليست موضوع دراستنا، ولايخفى على أحد ما للفتور السياسي وتراجع الاهتمام بـ"الشأن العام" من دور أساسي في صرف العامة وحتى المهتمين عن الأمور الجوهرية ودفعهم إلى الاهتمام بالأمور السطحية، سيما أن ذلك ترافق مع "عزل الشارع السوري" عن رجالات الفكر وقادة الرأي .

---

(٢٠٥) حديث دمشقي، مصدر سابق، ص٣٤٤

ففي خمسينيات القرن الماضي ساهمت " الفورة السياسية والإجتماعية و الثقافية" التي سادت سورية" بعد فترات " الركود " في تحرير" الزخم السوري" الذي كان يتبدى بين الحين والأخر خلال " فورات التحرر" من الإستعمار- بكل أشكاله- وهذا شكل صحوة كان لها الدور الأساسي في تخفيف - وليس تناسي - حدة التعصبات المحلية والطائفية والسياسية التي شغلت الشارع وشكلت القسم الأكبر من اهتماماته، وبرلمان الخمسينات خير مثالٍ عليها، ونحن نذكر رأي الحمصي الذي يحمّل ياقوت كل ما حصل بين أهل حمص والحموية علماً أن رأيه ورد عام ١٩٦٣، لكن هذه الحالة لم تستمر طويلاً إذ تم وأدها، واستعيدت حالة الركود. وفي فترات الركود السياسي الإجتماعي الثقافي يصبح شغل الناس هو الناس، وليس "الهم العام" .

يقول الأستاذ نجاة قصاب حسن في مذكراته:" كنت حين يسألني أحدهم عما إذا كنت دمشقياً أجيبه نعم لكن بعد تيمور، وأحسب أن جوابي ذكي وخفيف دم، وأنني أتبرأ من صفة ألصقها من لا يحبون دمشق أو من يداعبوننا إذ يقولون عن أهلها (بناديق تيمورلنك).

وبعد أن قرأت قصة دخول تيمورلنك إلى دمشق وجدتني أستحي أن أجيب على سائلي بالجواب القديم وأقول: نعم أن دمشقي، وفخور بانتمائي إلى مدينة ما ركعت أمام الغزاة[٢٠٦]... فدمشق اغتصبت غدراً وما ركعت حربا، فهي تستحق أن تقف بشرف بعد كبوتها...وإذا كان من يتحدثون عن (البندقة) يشيرون إلى تهجين النسل، فإن سورية ملتقى الحضارات والغزوات منذ آلاف السنيين، استقر فيها الكثير منهم، وتركوا من الأولاد في عشرات القرون أكثر مما يمكن أن يترك الغصب في ثلاثة أيام، بآلاف المرات... إذن فليس علينا أن نخجل إذا داعبنا أحد بموضوع هذه (البندقة) وأصلاً لا يقولها غير الدمشقي للدمشقي إلا للضحك. ولكن علينا أن نرد بذكر الحقيقة عن هذا التاريخ المجهول. ثم نضحك فعلاً ونعتبرها دعابة لا تصدق علينا مثلما لا تصدق الدعابات عن حمص، فقد رأيتم أن ذكاء أهلها كان بأن تشاطروا على تيمورلنك (عندما استقبلوه بالدفوف) فحسبهم معه، وما يزال أهل

---

(٢٠٦) حديث دمشقي، مصدر سابق ص١٧

حمص يستخدمون سمعتهم الضاحكة حتى يحققوا من مطالبهم ما يشاؤون، المدن كالبشر، لها ناسوت قد يستمد عناصره من مناخها."[٢٠٧]

وأستعيد هنا موقف أحد الحاضرين بعد أن خرج من محاضرة الأستاذ نهاد سمعان التي تحدث فيها عن يوم الأربعاء في حمص بتاريخ ٢٠٠٢/٢/٦ حيث قال:" والله ها لجدبة شغلة بترفع الراس ومانا شغلة سهلة أبداً".

أخيرا أدعو إلى إقامة مهرجان عالمي للفكاهة في مدينة حمص، كما دعا في وقت سابق بو علي ياسين في كتابه بيان الحد بين الهزل والجد فأهل حمص فأهلها ليسو أقل ظرفاً من أهالي غابروفو وسوسة أو أبردين" الذين تُطلق عليهم النكت في كل من بلغاريا وتونس واسكتلندة وهي مدن يقام فيها مهرجانات للضحك ويطلق على أهلها نكات كالتي تطلق على الحمصي مع فارق بسيط وهي أن الحمصي أكثر نجومية منهم، أكثر من ذلك لماذا لا يتم العمل على أن تكون حمص عاصمة للضحك في العالم فكم أصبحنا بحاجة إلى مدينة ضاحكة تثور على ما يسود في عالمنا من كآبة وحروب.

(٢٠٧) مصدر سابق ص ٢٥-٢٦

الحصمي في فضاء الانترنت

تم جمع هذه النكت من مواقع الانترنت ومما يتم تداوله بشكل كبير على الشبكة العنكبوتية بين الأصدقاء سواء في مواقع الدردشة أو عبر البريد الالكتروني :

ـ حمصي راح لعند ضابط بوزارة الداخلية قله
بدي اترشح لرئاسة الجمهورية ، قله الضابط إنت مجنون شي ؟
فأجاب الحمصي : هاد شرط يعني

ـ حمصي و شامي راحوا على محطة القطار
ولما وصلو لقو القطار مشي..
ركضوا مشان يلحقو القطار..
الحمصي أسررررررع ولحق وركب القطار
و الشامي ماقدر يلحق من كثرة الضحك
سألوه ليش عم تضحك؟؟؟؟؟؟؟
قال هالأجدب أصلاً جاي يودعني!!!

ـ حمصي قال لشامي واجعيني عيوني وعم شوف طول النهار نقط سودة بعيوني
قله الشامي شفت شي دكتور عيون؟؟
قله الحمصي ل أ شفت بس نقط سودة!!!

ـ حمصي وقع بجورة. صرخ الحقوني فوقع عشر حماصنة وراه

ـ قال حمصي لصديقه:بتشرب قهوة.
قال صديقه:إذا شربت قهوة ما بقدر نام.

قال الأول:أنا بعكسك تمام بس نام ما فيني أشرب قهوة

- قال حمصي فتح محل سماه: / بقالة الأقمشة لحلاقة الأحذية الغذائية

- في حمصي سأل واحد بالشارع وين الرصيف التاني ألو مقابيلك فألو الحمصي سألت هنيك قالولي هون!

- ياباني فات على بقالية بحمص بدو يشتري عشر علب كولا وقال للبياع
كوميهاني سيبه كولا'
قام رد البياع الحمصي
بدك عشر علب شو'

- حمصي سمى ابنه على اسم أبوه... بابا

- حمصي عمل عملية جراحية .. نجحت .. قام عملها مرة تانية

- شو بيكون مكتوب داخل أحذية الحماصنة ؟؟ .. الأصابع أولاً

- حمصي راح يشيع بجنازة
سأل واحد : شو بيشتغل الميت
قال:يحفر قبور
قال الحمصي
سبحان الله من حفر حفرة لاخيه وقع فيها

- حمصي يصلي جنب واحد اسود
قال الامام استوو

قال احنا استوينا بس في واحد احترق..

- صحفي سأل حمصي : كم نسبة البطالة في حمص ؟
الحمصي : والله حمص كلها ابطال

- حمصي هدته صاحبته ببغاء ...واتصلت تسأله:
شو رأيك بالهديه ؟؟ قال عادي متل طعم الجاج!!!

- حمصي دخل المسجد
وسأل الشيخ لمين المسجد؟؟، الشيخ: إلنا كلنا ، الحمصي: أنا بدي بيع حصتي!!

- عصفور حمصي كان يطير على ارتفاع منخفض فاصطدم بزجاج سيارة
وسقط على الأرض ، شفق السائق عليه فأوقف السيارة وحمل العصفور
وأخذه إلى البيت ، وهناك وضعه في قفص ووضع أمامه ماء وخبز ،
ولما فاق العصفور ووجد نفسه وراء الشبك ضرب بجناحه على رأسه قائلاً : العمى!!
سجن وقضبان ؟! معقولة نكون روحناه للزلمة!!

- حمصي راح للدكتور قال له الدكتور امشي كل يوم ٥ كيلو ، اتصل
الحمصي بعد خمس ايام قال للدكتور انا هلأ في حلب شوساوي

- ليش فترة الراحة للشغيلة الحماصنة بس عشر دقائق مو أكتر ؟ لأنه إذا
أعطوهم فترة راحة أطول لازم يرجعوا يفهموهم الشغل من اول وجديد

- مرة واحد حمصي كان راكب في سفينة كبيرة مسافرة بالمحيط

خلال الرحلة بتجي إخبارية لقبطان السفينة أنو السفينة تحوي قنبلة ورح تنفجر بعد دئيئتين القبطان انصعق من الخبر وما عاد عرف شو بده يعمل

ما لئا شي يعمله غير شي وحيد كونه السفينة منفجرة وما عاد يلحئ يعمل شي، نزل ونادى بالركاب وجمعن وقال كونه الرحلة طويلة رح لعبكن لعبة حلوة... بعد للتلاتة وكلكن سوا بتؤلوا بوووووم طبعاً المساكين انبسطوا واستنوا القبطان لقال تلاتة وكلن مع بعض آلوا بوووووم طبعاً بنفس اللحظة انفجرت القنبلة وصارت السفينة مئة شقفة والناس طارت وتناثرت بالمحيط

على خشبة بعيدة عائمة على وجه المياه كان صاحبنا الحمصي متمسك ومنهك من التعب ،وهو متعلق بالخشبة لمح خشبة قريبة عليه وللصدفة كان القبطان متمسك فيها!!

اتطلع الحمصي بالقبطان وقال :

يا زلمي ما أتقل مزحك تضرب انت وهل اللعبة

- صمم أهل حمص موقعين على الإنترنت واحد شتوي عنوانه www.homs.com والآخر صيفي عنوانه www.homsnoos com

- هل تعلم لماذا انقرض أهل حمص؟

لأن حمصي وقع في بئر وأخذ يصيح " لحقوني ... لحقوني " فتبعه أهالي حمص كلهم.

- مستشرقاً زار حمص، لكنه رجع إلى بلده مستغرباً

- هل تعلم لماذا فُقدت ظروف لبتون من حمص؟

لأن أهل حمص استعملوها علاقات للمفاتيح.

- حمصي جالس عند الحلاق، اتصلت معه والدته على الموبايل، فقال لها مستغرباً: "أ ُمي، كيف عرفت إني عند الحلاق".

- انتحر الدجاج في حمص بعدما قالوا لأهلها:" خلي الماجي تنفعكم"

- جاء في البرنامج الإنتخابي لمرشح حمصي:١- مكافحة التلوث ٢- نقل مدينة حمص من شرق المصفاة إلى غربها.

- لماذا يأخذ الحمصي دواءه قبل نصف ساعة من موعده؟

حتى يفاجئ الجراثيم.

- لماذا يأخذ الحمصي دواءه بعد ساعة من موعده؟

لتطق الجراثيم من الغيظ .

- كيف تعرف أن الشغالة حمصية؟

لأنها تنظف المصعد في كل طابق.

ـ قرر أهل حمص بعد أن كثرت النكت التي يطلقونها على أنفسهم، ترقيم نكتهم وبدل أن يقولوا النكتة، يكتفوا بأن يقول الرقم الذي يدل عليها ، لكن أحد أهل حمص لم يكن في حمص عندما فعلوا ذلك، ولما رأى أصدقاءه يتبادلون النكتة الرقمية" ديجيتال" ويضحكون عليها من صميم قلوبهم، أحب أن يشاركهم، فقال لأصدقائه:" النكتة رقم ٣"، فساد الصمت والذعر بينهم، وما هي إلا لحظات حتى أتى إليهم رجال الأمن، وأخذوا الجميع إلى السجن .

ـ أحد ظرفاء مدينة حمص، رشح نفسه لبرلمان الخمسينات، وكان شعار حملته الإنتخابية: " حاسبوني بعد أن تجربوني ".

- حاول الحموية أن يلفتوا أنظار العالم إليهم بعد ما انتزع أهل حمص إهتمام العالم، فأنشأ الحموية سد بالصحراء ما أثار استغراب المحطات الفضائية وكاميرات الصحف التي بدأت تغطي الحدث، وفي اليوم التالي شوهد ثلاثة حماصنة على طرف السد يصطادون سمك.

- وهاهو الحمصي تلك الشخصية الهوليودية يشترك مع الأميركي والياباني والروسي في اختبارات إنتقاء أغلى دماغ بشري، وفيه قُدر عقل الأميركي بـ٥٠٠دولار، وعقل الياباني بـ١٠٠٠ دولار والروسي بـ٢٠٠دولار، في حين قُدر عقل الحمصي بـ١٠٠ألف دولار، وعندما طلبت الدول السابقة توضيح لماذا بلغ دماغ الحمصي هذا السعر، جاءهم الرد بأن اللجنة كانت تجد عند فتح جمجمة أي شخص من مواطني الدول السابقة دماغ، في حين كانت تجد في جمجمة كل ٢٠٠ حمصي دماغ.

ـ حمصي فتح معمل تلج سماه معمل حمص للمياه اليابسة

ـ في واحد حمصي راح للدكتور بعد الفحص قاله الدكتور في عندك سرطان بالمخ، آم صرخ الحمصي: الله واكبر من وين أجاني المخ

ـ مرة واحد حمصي انقطعت شحاطته راح خيطها عند الكندرجي، بعد أسبوع شافها كويسة راح فك القطب

ـ شو بيكون مكتوب داخل أحذية الحماصنة؟ الأصابع أولا

ـ بعد ما يتحمم الحمصي شو بيعمل؟ بيشلح تيابو المبلولة

ـ ليش فترة الراحة للشغيلة الحماصنة بس عشر دقائق مش أكثر؟ لأنه إذا أعطوهم فترة راحة أطول لازم يرجعوا يفهموهم الشغل من اول وجديد

ـ قال في ولد حمصي سأل امه الحامل: ماما مين في ببطونك؟؟قالتله أخوك سألهابتحبيه؟؟؟ قالتله يي طبعا بحبه قالها طيب ليش بلعتيه؟؟؟ :-(

ـ قال في حمصي كان ماشي بالطريق، شاف قشرة موزة، قال وليييي على هالوقعة اللي بدي أكلها .

ـ قال في شاب صغير حمصي طلع من البيت، سألتو أمه، وين رايح يا حبيبي؟ قال لها 'أنا حرّ' نزل ع الشارع ووقّف سيارة تكسي، سألو الشوفير، وين يا أستاذ؟ قال له الحمصي: إذا لأمي ما قلت يعني روح قول إلك؟؟؟

ـ واحد حمصي اشترى تكسي و فرحان فيها كتير، صاروا العالم يأشرولو: (تكسي تكسي....؟)...وهو يقول: (ايه بعرف شو شايفيني أجدب).

ـ اثنين من الحماصنة خطر ببال الأول يقول حكمة فقال:قلي من تعاشر أقول لك من أنت فقال التاني من تعاشر؟؟ رد الأول من انت؟؟؟

ـ اتنين حماصنة عميقلدوا سيارة إسعاف واحد مد راسه من شباك السيارة اليمين وصار يقول ويوو ويوو ويوو والتاني مد راسه وصار يقول أزرق أحمر أزرق أحمر أزرق أحمر

ـ واحد محشش دخل عالدكانة و قلو للزلمة عندك مارلبورو؟ قلو لأ، راح دخل عالدكان اللي بجنبو و قلو: و إنته؟

ـ في مسابقة لاطول قصة في مدرسة حمصية وصلت الاحصائيات الى ان اطول ثلاث قصص هي ١٠٠٠ صفحة ٢٠٠٠صفحة ٣٠٠٠ صفحة ولما اجو يقرو اطول قصة لئو

بالصـفحة الاولى ركـب مـازن علـى الحصـان ومـن الصـفحة ٢الى ٢٩٩٩ دركـد دركددركد دركد دركد وباخر صفحة نزل مازن عن الحصان

ـ في واحـد حمصـي اشـترى سـيارة بـي ام دبليـو الحديثـة وفـتح عـل الراديـو ع إذاعـةBBC سمـع هنـا لنـدن تفـاجئ الحمصـي وقـال يفضـح عـرض هـا السـيارة مـا اسرعا...؟

ـ ليش حماصنة بيكتبو على نمرة سياراتهم وثبة أو كرامة ؟؟؟قال لأنو بيكتبو بالشام : جيش أو شرطة ؟؟

ـ حمصي وقع من رابع طابق التمت الناس حوله وسألو شو في قللون مابعرف هللق وصلت

ـ دخلت سائحة أمريكية إلى محل خضرة في حمص ونظرت إلى البندورة وسألت الخضرجي ما هذا؟

الخضرجي: بندورة.

السائحة: ليش بندورتكم صغيرة ؟ إحنا البندورة عنا في أمريكا كبيرة جدا ،

والله إنكم ما بتعرفوا تزرعوا. ثم نظرت إلى الخيار وقالت: ما هذا ؟

الخضرجي (بدأ يعصب شوي) : خيار .

السائحة: شووو ؟؟ هذا خيار ؟؟؟ وليش بتزرعوا صغير ؟ والله انكم ما

بتعرفوا الزراعة ولا عمركم سمعتوا فيها ، ثم نظرت الى البطيخ وقالت: شو هاد ؟؟

ـ عصب الخضرجي وقال : عنب فرط

ـ مرة واحد حمصي راح لعند الصيدلي قله: عندك حليب أطفال

قلو الصيدلي: إيه شو إسمو

قلو الحمصي: عبد الرزاق

ـ ولد حمصي عم يقرا بكتاب قال لأبو : بابا بتعرف انو الاميركان مشيوا على سطح القمر؟

عصب الأب وقال : هدول الاميركان بدون يضللوا يبعبصوا بهالقمر لحتى يوقع على راسنا

ـ كان في طالب حمصي كل يوم بيروح على المدرسة و بشق ٥٠٠ ليرة قدام الأستاذ قام قالو الأستاذ أحسن ما تشقها أنا بسألك سؤال إذا عرفته بعطيك ٥٠٠ و إذا ما عرفته باخد منك٥٠٠ قام سأله سؤال إلو جوابين مشان إذا جاوب الأول يقوله خطأ و إذا جاوب الثاني يقوله خطأ قلو: من هو أذكى رجل في العالم فجاوب الطالب الرئيس قام قالو الأستاذ خود هي ٢٠٠و بس أقبض راتبي بعطيك ٣٠٠ .

ـ طلعوا لاعبين الكرامة من المباراة مع الفريق الكوري عم يسبوا المدرب سألوهم ليش ؟؟؟

قالوا لأنو المدرب عطانا خطة المان تو مان وما بقى نعرف لاعب من التاني

ـ ليش الحمصية بعد ما تتحمم بطب راسها ؟؟؟

لأنو مكتوب على العلبة شامبو طُبي.

ـ حمصي لغى موعده مع الدكتور لأنو مريض.

ـ من لم يمت بالسيف مات بغيره   تعددت الأسباب والموت واحد ..

ما طار طير وارتفع   إلا كما طار وقع..

هكذا يعلن الطيار الحمصي عن بدء إقلاع الرحلة

ـ حمصي عم يمشي مع واحد لادقاني ، قالو

اللادقاني : ليك في كتير حماصنة هون باللادقية

قال له الحمصي : لكن ما تجي لعندا على حمص كلن حماصنة

ـ حمصي سكران عم يعتذر من رفيقو ، قالو

يستر على إيدك هات أختك لبوسها

ـ حمصي غبي ماشي مع بنت ، شافت أبوها ،

قالت : يا ويلي شو أعمل

قال لها : بسيطة قوليلو إني أخوكي

ـ محشش حمصي قال لمحشش تاني: من امبارح وبالي مشغول

قال له التاني : يمكن حدا رافع السماعة

ـ هاي ، كول مي بليز

حمصي باعت مسج لواحد موبايلو ما بيستقبل عربي

ـ عجوز حمصية سمعت أنو الدش حرام

قالت الحمد لله! سبعين سنة وأنا بتحمم بالسطل

ـ حماصنة يتدربون على ربط الكرافة

سبعة ماتو خنق وأربعة بحالة خطرة

ـ حمصي ماشي بالشارع بالليل لاقى لوحة معلقة على عامود الكهربا مكتوب عليها بيت للإيجار ومرسوم سهم...فصار يدق عالعامود ويدق ويدق ويدق

مر من جنبه حمصي تاني آم سأله خير شو في ؟

قلو : كاتبين بيت للإيجار وبدي استأجر بس ماحدا عم يفتحلي

رد التاني: والله غريب كيف ما حدا عم يرد مع إنه الضو شاعل

ـ واحد حمصي بياكل بأيدو اليسار ألولو الشيطان بياكل معك أم راح حط سم بالأكل.

ـ واحد من أهل حمص قرر ان يغزو الشمس بصاروخ ، قالو له بس الشمس حارقة ، فعمل رحلتو بالليل.

ـ حمصي كرماوي بالقهوة قال للكرسون جبلي واحد قهوة وسط واتنين هجوم

ـ حمصية قالها أبوها إجاكي أخ صغير قالتو : بذمتك ؟..

لا تقول لأمي ...خليها مفاجئة !

ـ حمصي ضرب رفيقو كف .. سألو هادا جد ولا مزح ؟.. قلوا جد

فجاوبو: منيح لأني ما بتحمل هيك مزح

ـ مجموعة حماصنة أخترعوا باص بالعرض ليش ؟

مشا يركبو كلهن قدام

ـ حمصي طلع على الطابق الأول ناوي ينتحر شافو أخوه وقلو شو عم تساوي عندك جاوبو بدي أنتحر قلو أخو يا ذي يلي بدو ينتحر بيطلع على آخر طابق جاوبو شو بدك تموتني

ـ ليش الحماصنة بيطلعو وجسمون مليان حبوب من الحمام؟ لأنو بيستعملو صابون النحلة

ـ حمصي دخل لعند السمان قلو عندك بسكوت تبع الخمسة قلو ايه ... قلو بقديش الوحدة

ـ حمصي قالولو الجزر بقوي النظر جاب كليين وقعد يطلع فيهن

ـ حمصي عملولو امتحان لحالو ..... قام طلع التاني

ـ واحد حمصي معصب قالولو طول بالك.....

قلن : كام متر يعني؟؟؟؟

ـ حمصي شاف لافتة مكتوب عليها مزرعة أبقار

سأل راعي المزرعة كيف تزرعون البقر ؟؟

قاله الراعي باستعباط : نرش سكر ويطلع بقر

راح ألحمصي ثاني يوم ورش سكر

رجع ثاني يوم شاف النمل متجمعين

قال : محلاهم البقر وهم صغار !!

ـ حمصي داخل سينما لقي مكتوب ممنوع الدخول لأقل من ١٨

قام جاب ١٧ من أصحابه ميشان يحضروا معو الفيلم

ـ حمصي قرصته حيه قعد يضحك ليش ؟؟؟؟

طلع معو إيدز

ـ دكتور عيون حمصي شاف إشارة حمرة

نزل من السيارة وحط لها قطرة .

ـ اتنين حماصنة تبنوا ولد صيني صاروا يتعلمو اللغة الصينية ميشان لما بيكبر يفهموا عليه

ـ قال في حمصي اشترى سيارة مرسيديس وبدو يجربها على طريق دمشق حمص فلما رجع من التجربة سألوا أصدقاؤه كيف السيارة؟

قلهن بالروحة كانت سريعة أخد معي الطريق ساعة بس اما بالرجعة اخدت سبع ساعات سألوه ليش؟ قالهن الالمان ما حطو فيها الا غيار واحد للرجعة لورا

. قال في أربعة حماصنة عم يلعبو على الخط السريع وكان أهم شرط باللعبة أنو يلي بيندعس مرتين يطلع برا.

. ليش الحمصي بحط على رأسه خوذة

لأنه يريد أن يبني مستقبله

. ليش كل ما بيشوف الحمصي البرق بيضحك ؟

بيفكر في حدا عم يصورو

. حمصي اشترى جوال عطاه لاخوه وقلو اكتبلي رسالة لانو خطي مو حلو

واحد حمصي ماسك قطعة ثلج شافو حمصي تاني وقلو وين صافن

قلو انشالله موت بس اعرف من وين قطعة الثلج مبخوشة

. في واحد حمصي دق ع الاستعلامات سأل الموظفة :اديش رقم الاطفاء قالتلوا ثلاث تسعات٩٩٩ قال الحمصي انا عندي تسعة وحدة فقط، قالت الموظفة انت حمصي شي قال انتي مركبة كاشف ومالي خبر

. في واحد سأل حمصي قلو اذا عرفت شو داخل الكيس راح اعطيك سمكة قال الحمصي سهلة بحر !!

ـ حمصي واقف امام الثلاجة وشايل بايدو سكين ليش؟

بدو يعرف مين عم يشغل اللمبة

ـ واحد حمصي رجع من السفرشاف في بيتو صراصير راح غير القفل!!!

ـ اثنين حماصنة ركبو عالبسكليت صارو يتقاتلو مين راح يقعد جنب الشباك

ـ مجموعة علماء حماصنة قرروا يعملوا أبحاث على ضفدع آم قطعوا له أول رجل وقالوو نط آم نط آم قطعوا تاني رجل وقالوو نط آم نط آم قطعوا ايدو وقالوا له نط آم نط قطعوا له الإيد التاني وقالوا له نط آم ما نط فكتبوا ملاحظة: إذا قطعت الرجل الرابعة للضفدع فإنه سيفقد حاسة السمع.

ـ حمصي و حموي و شامي تراهنوا مين يجيب الكنز من مغارة بيحرسها حمار. راح الحموي و قال للحمار: ياعيني يا روحي ... فرفسو الحمار.

راح الشامي و نفس الشي رفسو الحمار. راح الحمصي و بعد نصف ساعة رجع و معو الكنز. سألو الحموي: كيف جبتو؟ ألو الحمصي: كلمة مني كلمة من الحمار طلعنا أراييين.

ـ حمصي سافر لحلب شاف واحد حلبي محمل خيار على الحمار و عم وعم يصرخ تعو ودعووووووا بعد دقيقتين قدر يبيع كل الخيار قام الحمصي سافر لحمص و عمل نفس الشي بس لما صار يصرخ تعوا ودعوووووا اجوا الحماصنة وصاروا يبوسو الحمار.

ـ اميركي والماني وحمصي حكم عليهم بالإعدام...

سالوا الأمريكي : بماذا تريد ان نعدمك بالمقصلة الكهربائية ام بالسيف ؟ فقال بالمقصلة . فلم تشتغل المقصلة فافرجوا عنه . سالوا الألماني :بماذا تريد : ان نعدمك بالمقصلة الكهربائية ام بالسيف ؟ فقال : بالمقصلة ... فلم تشتغل المقصلة فافرجوا عنه . سألوا الحمصي :بماذا تريد ان نعدمك بالمقصلةالكهربائية ام بالسيف ؟ فقال بالسيف . فصرخ عليه الناس : اطلب المقصلة الكهربائية .. فقال : يا هبلان المقصلة مانا شغالة مانا شغالة !!

ـ سألو حمصي ليش نشره الاخبار اليوم طويله قالن : يمكن اليوم اخر حلقه.

ـ كان البرازيل يلعب مع الكرامة وفي الشوط الثاني أخد البرازيل ضربة حرة

ورونالدوا بدو يشوط الطابة قام الكرامة شكلو حائط دفاع بس بالمقلوب

قال الحارس : ليش دايرين وشكون لعندي ديرو لعند رونالدو

قالولو : شو بدك تشوف الكوول لحالك

ـ حمصي سألوه مين برأيك أهم الشمس ولا القمر، قال القمر طبعاً ، قالوله ليش ، قال لأنه القمر بيطلع بالليل وبيعطينا ضو أما الشمس بتطلع بالنهار والدنيا ضاوية أصلاً.

ـ (على هامش الحرب الأميركية على طالبان) قصة واقعية قام بها طلاب إحدى المدارس الثانوية في مدينة حمص، حيث أرسلوا إلى مدير مدرستهم مظروف، وعندما فتحه وجد داخله مسحوق أبيض اللون، ورسالة جاء فيها :" مع تحيات بن

لادن" فأصيب المدير بالذعر، خوفاً من الجمرة الخبيثة التي سمع الكثير عنها في وسائل الإعلام، لكن المسحوق لم يكن إلا بودرة أطفال.

ـ الحماصنة عملوا مظاهرة للاحتجاج على سياسية الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش لبسو واحد منهم قناع بوش وأحرقوه

حمص

٢٠٠٠/١/١

٢٠٠٤/١/٢٩

تم إجراء بعض التعديلات

دمشق١٧/١٠/٢٠٠٨

أرجو مراسلتي لإبداء الملاحظات على الكتاب على الإيميل:

newsgolo@yahoo.com

أو زوروا موقعي www.georgekadr.com

الكوميديا تتغذى على آلامنا

الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن(٢٠٠١-٢٠٠٨) كان من أكثر الرؤوساء الذين مروا على التاريخ البشري إثارة للحروب والنزاعات في العالم... توجت فترة حكمه بانهيار برج التجارة العالمي(أحداث سبتمر أيلول) الحدث الذي كان له أكبر الأثر على المشهد العالمي بكل أبعاده وختم فترة حكمه بأكبر أزمة مالية عالمية كان لها تداعيات عميقة في بنية النظام الاقتصادي والسياسي العالمي.

في عهده ارتفعت وتيرة العنف بكل أشكاله سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وعسكريا، وحسب ما تذكر موسوعة ويكبيديا على شبكة الانترنت فإن فترة حكمه كانت من أعنف الفترات التي مرت على البشر، في حربه على العراق التي زادت تكلفتها عن ٣ تريليون دولار قتل أكثر من مليون شخص في العراق وشرد الملايين إلى دول الجوار وقتل أكثر من ٥٠٠٠ جندي امريكي في العراق.

ورغم الشخصية التدميرية لهذا الرجل إلا أنه كان مادة خصبة لوسائل الإعلام فحقق شعبية وجماهيرية لكونه أكثر شخصية غبية عرفها تاريخ الحكم في أميركا على الأقل كما أظهرته وسائل إعلامهم، ضحك الأمريكيون على غبائه وزلات لسانه حتى أن الصور الأكثر انتشارا له كانت تلك التي تظهر أوجه الشبه بينه وبين القرود عدا عن طباعة صورته على أوراق الحمامات كي يفرغ الأمريكي غضبه من ممارسات هذا الرئيس كل صباح، كان الأمريكيون باختصار يضحكون على ألمهم ومعاناتهم عندما يضحكون عليه... أليست الكوميديا والفكاهة تتعذى وتعتاش وتنمو على آلامنا ومعاناتنا.

لنقرأ هذا الخبر الذي نشرته وكالة رويترز بتاريخ الأربعاء ١٢ نوفمبر ٢٠٠٨م:

كوميديو أمريكا يتخوفون من "أزمة تنكيت" مع قرب انتهاء ولاية بوش

توقع خبراء أن يعاني الفنانون الكوميديون في الولايات المتحدة من "أزمة تنكيت" مع رحيل الرئيس جورج بوش عن البيت الأبيض، بعدما شكّل مصدر إيحاء كبير لهم، بينما لا يبشر الرئيس المنتخب "بالخير".

فبعدما "انتعش" سوق الكوميديا بنكات بوش، يبدو أن باراك أوباما لن يكون مناسباً للنكات، خاصة مع الدعم الكبير الذي ناله من نجوم هوليوود، ليكون أول رئيس أسود للولايات المتحدة، وسط أزمة مالية عالمية، وحربين في العراق وأفغانستان.

وسواء أكان السبب هو أنه مفضل لدى فناني الكوميديا الذين يميلون الى اليسار، او الطبيعة التاريخية لانتخابه او أنه لم يرتكب الكثير من الزلات، حتى الآن فإن الكوميديين لا يجدون الكثير ليطلقوا المزحات بشأنه حتى الآن.

وقال مايكل ماستو الكاتب بجريدة "فيليدج فويس" التي تصدر في نيويورك "انتخاب أوباما رائع بالنسبة لبلادنا لكنه سيء بالنسبة للكوميديا... انه شخص نزيه وذكي يحاول إنقاذ دولة في أزمة وهذا لا يثير الضحك".

وأضاف "الكوميديا تزدهر حين تكون هناك أهداف مضحكة... تقليديا قدمت برامج مثل "ساترداي نايت لايف" أفضل ما لديها حين تناولت شخصيات مثل الرئيس (جيرالد) فورد الذي لم يكن يستطيع الوقوف بشكل مستقيم طوال الوقت، أو بوش الذي لم يستطع نطق كلمة نووي، او سارة بالين التي لم تكن تعلم أن افريقيا قارة".

وارتفعت معدلات المشاهدة لبرنامج "ساترداي نايت لايف" الذي يبث منذ فترة طويلة على شبكة ان بي سي بشدة اثناء حملة الانتخابات الرئاسية للعام الحالي ٢٠٠٨، وأذكاها تقليد النجمة تينا فاي لمرشحة الحزب الجمهوري لمنصب نائب الرئيس سارة بالين حاكمة ألاسكا.

وكانت البرامج الاخبارية الساخرة، كما مقدمي البرامج الحوارية التي تذاع في وقت متأخر، يحصلون على ذخيرة للكوميديا بانتظام خلال السنوات الثماني التي قضاها بوش في الحكم.

واعتبر أستاذ التلفزيون والثقافة الشعبية بجامعة سيراكيوز روبرت طومسون "باراك اوباما حتى الآن كابوس لفناني الكوميديا".

حتى أوباما مزح في حفل عشاء بنيويورك حين سخر هو ومنافسه الجمهوري جون مكين من نفسيهما بأن اكبر نقطة ضعف في كل منهما، كانت "أنا مروع بدرجة اكثر من اللازم بقليل".

فقرة ثابتة

الرئيس أسود لهذا فان من الواضح أننا سنسخر من كل موقف يخطر على بال بشأن رئيس أسود

وأذاع برنامج "ذا ليت شو ويذ ديفيد ليترمان" على شبكة سي بي اس فقرة ثابتة بعنوان "لحظات عظيمة في الخطب الرئاسية" تسخر من بوش حين يتحدث علنا كما عبر لينو الذي يقدم برنامج "ذا تونايت شو" على ان بي سي عن حزنه لفوز اوباما.

وقال لجمهوره في اليوم التالي لانتخابات الرابع من نوفمبر/تشرين الثاني "لا بد أن أعترف كفنان كوميدي أنني سأفتقد الرئيس بوش، لأن إطلاق النكات على أوباما ليس بالامر اليسير فهو لا يعطيك ما يكفي لتستخدمه". وأضاف "لهذا وهبنا الله (نائب الرئيس المنتخب) جو بايدن".

بوش نفسه شكا من صعوبة السخرية من اوباما، قبل أن يعلن السيناتور نفسه مرشحا للرئاسة بكثير. فقال بوش في حفل عشاء في واشنطن عام ٢٠٠٦ "سيناتور اوباما... أردت أن أطلق مزحة عنك لكن هذا مثل اطلاق مزحة عن البابا... امنحني مادة لاستخدمها. لتخطيء في نطق كلمة ما".

لكن استاذ الإنتاج الإعلامي بجامعة كوينيبياك ليام اوبراين اعتبر أن فناني الكوميديا لم يخسروا كل شيء "لأن الكوميديين التقدميين سيواصلون استخدام

ما خلفه الحزب الجمهوري" ومن شأن اوباما أن يمنحهم مادة ليعملوا بها في مرحلة من المراحل.

وأضاف "كما قال اوباما "لم أولد في مذود". انه واع تماما خاصة للمسائل الصعبة ومهما بلغت جودة المشورة التي يقدمها فريق العاملين معه فإن أخطاء سترتكب".

تحييد العرق

لكن، فيما يحاول فنانو الكوميديا البحث عن سبل للسخرية من اوباما يستبعد أن يكون عرقه أول منطقة يبحثون فيها عن مادة على الاقل بالنسبة للكوميديين من البيض. ويقول تريسي مورغان، وهو فنان كوميدي اسود وممثل في برنامج الكوميدي انه بالنسبة لفناني الكوميديا السود فإنهم يستطيعون السخرية من اوباما بلا حدود.

وقال لنيويورك تايمز "الرئيس أسود لهذا فان من الواضح أننا سنسخر من كل موقف يخطر على بال بشأن رئيس أسود". وأضاف "على فناني الكوميديا البيض أن يجازفوا. اذا كانوا سيقدمون على هذا فالافضل أن يكونوا مضحكين".

مراجــــع البحــــــث

١) علي مروه، من موسوعة الأدب الضاحك، الجزء الأول، طرائف الشعراء والأدباء، رياض الريس للكتب والنشر.

٢) علي مروه، موسوعة الأدب الضاحك، الجزء الثاني، طرائف المصريين، رياض الريس للكتب والنشر.

٣) علي مروه، موسوعة الأدب الضاحك، الجزء السادس، طرائف الأذكياء والمغفلين، رياض الريس للكتب والنشر.

٤) مروج الذهب ومعادن الجواهر، المجلدين، الثاني، للمؤرخ أبي الحسن علي بن الحسين بن على المسعودي، تحقيق الشيخ قاسم الرفاعي، دار القلم بيروت.

٥) أدبنا الضاحك، عبد الغني العطري، دار البشائر، الطبعة الثانية ١٩٩٢

٦) مروج الذهب ومعادن الجواهر، المجلدين، الثالث، للمؤرخ أبي الحسن علي بن الحسين بن على المسعودي، تحقيق الشيخ قاسم الرفاعي، دار القلم بيروت.

٧) د. جواد علي، تاريخ العرب في الإسلام، ص٦،دار الحداثة بيروت ١٩٨٣

٨) تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي، تحقيق عبد الأمير مهنا، المجلدين الأول والثاني، منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت.

٩) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر (٤٤٩-٥٧١هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر بيروت ١٩٩٥

١٠)ابن الجوزي، الأذكياء، تحقيق عادل عبد المنعم أبو العباس، مكتبة القرآن، القاهرة.

١١)أخبار الحمقى والمغفلين، الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تنقيح محمد أمين فرشوخ، دار الفكر العربي.

١٢)د. فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة د. جورج حداد و عبد الكريم رافق، مراجعة د. جبرائيل جبور، الجزء الأول، دار الثقافة بيروت

١٣)د.فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة د. كمال اليازجي، مراجعة د. جبرائيل جبور، الجزء الثاني، دار الثقافة بيروت

١٤)د. فيلب حتي، صانعوا التاريخ العربي، ترجمة أنيس فريحة، دار الثقافة بيروت

١٥)د. طه حسين، من تاريخ الأدب العربي، الجزء الأول، دار العلم للملايين، بيروت، آذار ١٩٧٠

١٦)د. طه حسين، من تاريخ الأدب العربي، الجزء الثاني، دار العلم للملايين، بيروت، آذار ١٩٧٠

١٧)د. طه حسين، من تاريخ الأدب العربي، المجلد الثالث، دار العلم للملايين، بيروت، آذار ١٩٧٠

١٨)ول ديورانت، قصة الحضارة، المجلد ١٣- ١٤، عصر الإيمان، اختارته وأنفقت على ترجمته الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية.

١٩)منير خوري أسعد، تاريخ حمص، الجزء الثاني، نشرته مطرانية حمص الأرثوذكسية ١٩٨٤.

٢٠)الشيخ جعفر المهاجر- التأسيس لتاريخ الشيعة (٢) ستة فقهاء أبطال- الطبعة الأولى- ١٩٩٤م- المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى مركز الدراسات والتوثيق والنشر.

٢١)الميثولوجيا السورية-أساطير آرام، د. وديع بشور، مؤسسة الفكر للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى، تشرين الثاني ١٩٨١

٢٢)ساطع محلي، حمص أم الحجارة السود، حمص ١٩٦٣/١/٢٠

٢٣)الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، المجلد٤، الجزء ١٠-١٢

٢٤)محمد علي دقة، السفارة السياسية وأدبها في العصر الجاهلي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٨٣

٢٥)أنطون سابا، حمصنه،Anton-Soba p-o-box 5322 chatsworth-CA- 91313 -5322 U-S-A

٢٦)دانييل جولمان، الذكاء العاطفي، ترجمة ليلى الجبالي، سلسلة عالم المعرفة٢٦٢.

٢٧)د. عادل العوا، أخلاق التهكم، دار الحصاد الطبعة الأولى ١٩٨٩.

٢٨)مدارس التحليل النفسي، ترجمة وجيه أسعد، إصدارات وزارة الثقافة.

٢٩)ديزموند موريس، الطفل الرضيع، ترجمة محمد دنيا، دار الإرشاد بحمص.

٣٠)ديزموند موريس، القرد العاري، ترجمة ميشيل أزرق، دار الحوار للنشر والتوزيع.

٣١)سيجموند فرويد، ما فوق مبدأ اللذة، ترجمة د. اسحق رمزي، دار المعارف بمصر.

٣٢)محمد أبو خضور، النكتة الصهيونية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ١٩٧٧.

٣٣)بو علي ياسين في كتابه بيان الحد بين الهزل والجد، دار المدى للثقافة والنشر

٣٤)علي ديب حسن،النكتة العربية بين الماضي والحاضر، دار المنارة ومؤسسة عبور للطباعة، بيروت ١٩٩٦

٣٥)عبد العزيز سيد الأهل، النكتة المصرية، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٤٨

٣٦)فرانتس ألتهايم، إله الشمس الحمصي، ترجمة.إيرينا داود، مراجعة فراس السواح، دار المنارة

٣٧)فراس سواح، دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، منشورات دار علاء الدين، الطبعة الأولى ١٩٩٤.

٣٨)إمبراطورات سوريات- تاريخ فترة التأثير السوري في الإمبراطورية الرومانية-، جان بابليون، ترجمة يوسف شلب الشام، العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٨٧.

٣٩)الأبشيهي (٧٩٠-٨٥٠ هـ)، شهاب الدين بن محمد الأبشيهي، المستطرف من كل فن مستظرف، دار القلم، بيروت ١٩٨١، ونفس المرجع، إصدار دار إحياء التراث العربي

٤٠)تونُيي مكَحخوني، نوادر مضحكة للعلامة مار غريغوريوس يوحنا ابن العبري مفريان المشرق ١٢٢٢. ترجمة الأب يعقوب كامل طحان.

٤١)نعيم الزهراوي ومحمود السباعي، حمص دراسة وثائقية في الحقبة من ١٨٤٠-١٩١٨م، الجزء الأول، حقوق الطبع والنشر والصور والوثائق محفوظة للمؤلّفين.

٤٢)نعيم الزهراوي، الجزء السابع، جذور ريف حمص دراسة وثائقية، دار السلامة للنشر.

٤٣)د. شاكر مطلق ندوة حمص الأثرية والتاريخية الأولى

٤٤)د. عبد الكريم اليافي، دراسات فنية في الأدب العربي،، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ١٩٩٦

٤٥)جان إيف جيلون، أعياد الربيع القديمة في حمص، ترجمة زياد خاشوق، حمص ١٩٧٧، موافقة وزارة الإعلام ١٩٩٧/٣/٣٩٣٥٧

٤٦)مرسيا إلياده، المقدس والدنيوي، ترجمة نهاد خياطة، العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٧

٤٧)نجاة قصاب حسن، حديث دمشقي ١٨٨٤- ١٩٨٣، مذكرات"١"، الطبعة الثالثة١٩٩٢، الحقوق محفوظة للمؤلف

٤٨)تيمورلنك وحكايته مع دمشق، أكرم حسن العلبي، دار المأمون للتراث، الطبعة الرابعة١٩٨٧

٤٩)أخبار الدول في آثار الأول، لأحمد بن يوسف القرماني (توفي ١٠١٩هـ، ١٦١٠م)، المجلد الثالث، دراسة وتحقيق أحمد حطيط، فهمي سعد، عالم الكتب، بيروت.

٥٠) المقدسي، محمد بن أحمد (٣٣٥،٣٩٠هـ)' أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق١٩٨٠، تحقيق :: غازي طليمات،

٥١)القزويني، زكريا بن محمد بن محمود القزويني{١٢٠٣-١٢٨٣} آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت، بيروت ١٩٦٠

٥٢)ابن بطوطة، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي، حققه ووضع خرائطه عبد الهادي التازي، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسة التراث.

٥٣)رحالة ابن جبير، دار صادر- دار بيروت

٥٤)ياقوت الحموي، الشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي الرومي المتوفى سنة ٦٢٦هـ، معجم البلدان الجزء الثاني، دار الكتب العلمية، بيروت

٥٥)أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بصاحب حماة، تقويم البلدان، طبع في مدينة باريس المحروسة بدار الطباعة السلطانية سنة ١٨٥٠

٥٦)ابن جوقل،أبي القاسم بن جوقل النصيبي (ت٣٦٧هـ)، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٧٩.

٥٧)ابن الفقيه الهمذاني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمذاني كتاب البلدان، تحقيق يوسف الهادي، بيروت عالم الكتاب للطباعة والنشر، بيروت ١٩٩٦

٥٨)الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحَسني، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٩، المجلد الأول.

٥٩)أبو الفضل النيسابوري الميداني، مجمع الأمثال، المجلد الأول، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد

٦٠)كتاب جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري، حققه أبو الفضل إبراهيم، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، ١٩٦٤

٦١)أحمد بن محمد المقري التلمساني (٩٩٢-١٠٤١هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، الجزء الأول، شرحه وضبطه وعلق عليه د. مريم قاسم طويل، د. يوسف علي طويل،، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٥

٦٢)فضائل الأندلس وأهلها، لابن حزم، وابن سعد، و الشقندي، نشرها وقدم لها د. صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ١٩٦٨

٦٣)تاريخ مختصر الدول، للعلامة غريغوريوس الملطي، المعروف بابن العبري، المتوفى سنة ٦٨٥هـ، دار المسيرة بيروت
٦٤)ديوان تذكرة الغافل في استحضار المآكل، جمعه: محمد الخالد الحلبي الحمصي، دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت، طبعة دار القلم الأولى ١٩٩٤
٦٥)ديوان ديك الجن الحمصي، جمع وتحقيق مظهر الحجي، وزارة الثقافة إحياء التراث ٧٣
٦٦)السنكسار: سير القديسين الذين تكرهم كنيسة الروم الملكيين الكاثوليك على مدار السنة- وضعه المطران ميخائيل عساف رئيس أساقفة بترا وفيلادلفيا وسائر شرق الأردن- طبعة ثانية- المطبعة البوليسية حريصا (لبنان) الطبعة الأولى كانت عام ١٩٤٨.
٦٧)جولة أثرية في بعض البلاد الشامية، أحمد وصفي زكريا، دار الفكر تموز ١٩٣٤
٦٨)الفكاهة البلغارية داميان بارنيا كوف ترجمة حسين راجي، منشورات دار الثقافة بدمشق ١٩٨٢
٦٩)العربي- العدد ٤٥٦- تشرين الثاني ١٩٩٦حمص... رحابة المكان، مرافئ الزمان، استطلاع د. محمد المخزنجي
٧٠)العربي، العدد الثاني والخمسون، مارس، ١٩٦٣، حمص...، استطلاع سليم الزبال
٧١)العربي، العدد الثاني والخمسون، مارس، ١٩٦٣، بيوت القيان، د. نبيه عاقل
٧٢)مجلة العربي العدد ٤٨٤، مارس، ١٩٩٩، استطلاع عن مدينة حماة
٧٣)الدومري- العدد-٣٩- الاثنين ٢٦/١١/٢٠٠١
٧٤)جريدة الحياة، الأربعاء ٢٧- ١٠-١٩٩٩
٧٥)لقاء مع المفكر محمد أركون في جريدة السفير، ١٢/نيسان/٢٠٠٢
٧٦)ملحق السفير الثقافي، الجمعة ١٥ آذار ٢٠٠٢
٧٧)مجلة المعرفة السورية العدد ٤٨٤ كانون الثاني ٢٠٠٣ إخوان الصفا: قراءة معاصرة، كمال راغب الجابي.
٧٨)علي القيم، صحيفة البعث١٠-٦-٢٠٠٤
٧٩)حزب البعث وصحفيو حمص، نشرة كلنا شركاء في الوطن عدد ١٤ تموز ٢٠٠٦
٨٠)النكتة الحمصية من جوليا دومنا إلى يومنا، تقرير في وكالة سانا ٢٠٠٨/٠٦/١٥
٨١)نهاد سمعان، حمص ويوم الأربعاء، محاضرة ٢٠٠٢/٢/٦
٨٢)صحيفة تشرين، مقابلة مع رئيس الوزراء محمد ناجي العطري ٩ت /٢٠٠٥.

٨٣)موسوعة ويكبيديا الالكترونية قسم رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية. جورج بوش
٨٤)كوميديو أمريكا يتخوفون من أزمة تنكيت مع قرب ولاية بوش، رويترز للأخبار الأربعاء ١٢ نوفمبر ٢٠٠٨م

في حال وجود أي ردود أو اقتراحات يرجى مراسلتنا على العنوان التالي:

NEWSGOLO.YAHOO.COM
WWW.GEORGEKADR.COM

الفهرس